جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية
فرع التاريخ

دور مفكري التنوير في قيام الثورة الفرنسية

"فولتير، مونتسكيو، جان جاك روسو" نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث 1519-1830

إعداد الطالبة:
- ثنينة جعفور

تحت إشراف:
- أة. د. مزهورة صالحي

أعضاء لجنة المناقشة:

محمودي عمر	M.C.A	رئيسًا
قاسي مسعودة	M.A.A	مناقشًا
مزهورة صالحي	M.C.A	مشرفا ومقررًا

السنة الجامعية: 2023-2024

الإهداء

" وقل ربي زدني علما"

الحمد لله الذي به تتم النعم الحمد لله حمدا حتى يبلغ الحمد منتهاه

أحمد الله الذي هداني ووفقني لهذا العمل المبارك وأعانني على اتمام هذا الإنجاز من البحث، الذي أهديه الى والدي تمانيًا من الله عز وجل أن يشفيهما لي ويحفظهما لي ، كما لا أنسى إخواني الثلاث الذي بهم أشد أزري ولا أنسى كل زملائي وزميلاتي الذين شاركت معهم أجمل التفاصيل وإن غدّت قصيرة ولكل من ساندني ولو بكلمة

وشكرا.

شكر وتقدير

الشكر أولا لله عز وجل القائل في كتابه "لئن شكرتم أزيدكم"

الحمد لله الذي وهبنا نعمة العقل لينير لنا الطريق ووفقنا في إتمام هذا العمل وأتقدم بخالص الشكر والتقدير الى كل من ساعدني وساهم معي ولو بكلمة او نصيحة في هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة البروفسورة "صالحي مزهورة" على حسن اشرافها على هذا الموضوع والنصائح التي كانت توجهها لي.

قائمة أهم المختصرات

تع	تعريف
تر	ترجمة
د س ن	دون سنة نشر
ص	صفحة
ج	جزء
مج	مجلد
مر	مراجعة
تق	تقديم
تح	تحقيق

مقدّمة

في إطار دراسة لموضوع مذكرتنا التي بعنوان: "**دور مفكري التنوير في قيام الثورة الفرنسية**" "**فولتير مونتكسيو وجان جاك روسو**"، نظراً لأهمية هذا الموضوع في بروز حركة فكرية تنويرية كبيرة خلال القرن الثامن عشر في أوروبا بشكل عام، وفي فرنسا بشكل خاص.

خلال القرن الثامن عشر، بدأت أفكار الفلسفة التنويرية تنتشر وتؤثر في عقول الناس، لكنها واجهت مقاومة من القوى الرجعية المتمثلة في رجال الدين الذين كانوا يروجون لأفكار سلبية تهدف إلى محاربة وإخماد نور العهد الجديد.

شهدت فرنسا قبل الثورة في عام 1789، حركة فكرية واسعة النطاق تُعرف باسم "حركة التنوير" أو "الأنوار". عمل المفكرون التنويريين على نقد الأيديولوجيات الإقطاعية والمعتقدات الدينية، وتفنيد الأوهام الكنائسية بالإضافة إلى تعزيز روح التسامح الديني ونشر حرية التفكير، وهو ما قام به التنوير الفرنسي.

يُعَدُّ التنوير تجسيدًا لفكرة التقدم، حيث كان هدفه تحرير الإنسان من الخوف وتمكينه من السيطرة على مصيره. وقد أدى ذلك إلى انهيار الحكم المطلق في فرنسا، الذي استمر لعدة قرون، مما ساهم في إلغاء الامتيازات الإقطاعية والأرستقراطية والدينية. كما ساهمت مبادئ التنوير في محو الأفكار التقليدية المرتبطة بالنظام الإقطاعي الاستبدادي.

كان التنوير بمثابة انتقال الإنسان من مرحلة القصور العقلي إلى مرحلة النضج والرشد. كما أشار الفيلسوف الكبير إيمانويل كانط إلى أن التنوير هو *"تحرير العقل من التبعية والسعي نحو التفكير الشخصي دون الاعتماد على سيد أو وصي"*.

يعود الفضل في نشر الوعي التنويري في القرن الثامن عشر إلى مجموعة من الفلاسفة والمؤرخين، مثل "جان جاك روسو" الذي قدم نظرية "عقد الاجتماعي"، ويُعتبر من أبرز منوري الثورة الفرنسية، و"فولتير" الذي عُرف بانتقاداته اللاذعة للكنيسة، ومونتسكو الذي ألف كتاب "روح القوانين".

لقد ترك هؤلاء الفلاسفة أثرًا عميقًا على الشعب الفرنسي، مما دفعهم إلى الثورة ضد النظام الملكي القائم. وتُعتبر الثورة الفرنسية نموذجًا يُحتذى به لشعوب العالم في مقاومتها لطغيان الحكم المستبد والأنظمة المطلقة.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختياري للموضوع إلى:

- كانت من المحاور المهمة في التاريخ المعاصر نظرا لدور فلاسفة الأنوار في تفجير الثورة الفرنسية 1789، التي تعاد أول ثورة اجتماعية فكرية وانسانية في تاريخ البشرية.
- ميولي إلى المواضيع الفلسفية والفكرية.
- هذا الموضوع يدخل في الإطار الزمني للتخصص تاريخ الجزائر الحديث.

ثانيًا: إشكالية الموضوع:

تعتبر أفكار فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر المحرك الأساسي الذي دفع الشعب الفرنسي نحو خوض ثورته العظيمة. ولتقديم تحليل متكامل للموضوع، نطرح الأسئلة التالية: ما هو مفهوم التنوير؟ ما هي الظروف والأسباب التي أدت إلى ظهور فلسفة التنوير؟ من هم أبرز الفلاسفة والمفكرين الذين ساهموا في هذه الحركة؟ وكيف أثرت هذه الأفكار على اندلاع الثورة الفرنسية؟

ثالثا: المنهج المتبع:

إن المنهج الأنسب لهذا البحث هو المنهج التاريخي الفلسفي، الذي يعد الأكثر ملائمة لمعالجة هذا الموضوع. سنستند إلى الوقائع والأحداث التي تتعلق بتأثير حركة التنوير على قيام الثورة الفرنسية. كما سنعتمد على الأسلوب السردي والتحليلي لعرض الأحداث وأفكار التنوير وتحليل النتائج التي أثرت بشكل خاص على فرنسا وعلى أوروبا والعالم بشكل عام.

رابعًا: أهداف دراسة الموضوع:

1. اكتشاف دور فلاسفة العقل في إحداث انقلاب فكري وكيف ساهموا في تمهيد الطريق للثورة الفرنسية.
2. التعرف على أبرز المفكرين الذين ألهموا الشعب الفرنسي للثورة ضد النظام الملكي الاستبداد.

خامسًا: أهمية الدراسة:

يُعتبر التنوير من أبرز التطورات الفكرية والفلسفية التي شهدتها فرنسا في القرن الثامن، مما جعلها رائدة في أوروبا والعالم. لقد تجاوزت هذه الحركة الحدود الفرنسية بفكرها وطرحها العقلاني، الذي يستند إلى جذور تاريخية سابقة.

لقد خصصنا الفصل الأول: لتعريف بالتنوير وكيف ظهر في فرنسا بعنوان: *"نشأة فكر التنوير في أوروبا"*

أما في الفصل الثاني "" قدمنا فيه ترجمة وأعمال لأكبر فلاسفة التنوير: فولتر مونتسكو وجان جاك روسو.

تناولنا في الفصل الثالث: "أثر الفلاسفة ومفكري التنوير على قيام الثورة الفرنسية" يتحدث عن دور مفكري التنوير في قيام ثورة 1789.

سادسًا: أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر أهمها:

- "الاعترافات" لجان جاك روسو.
- كتاب "الطرق إلى حداثة التنوير البريطاني والتنوير الفرنسي والتنوير الأمريكي" لغيرترود هيملفار.
- كتاب *"فلسفة الثورة الفرنسية"* لبرنار غروتويزن
- هربرت فيشر *"تاريخ أوروبا في العصر الحديث"*.

سابعا: الصعوبات التي واجهتها:

- الموضوع فلسفي أكثر مما هو تاريخي يحتاج إلى الفهم والتحليل والاستنتاج ونحن لم نتعود على مثل هذه المواضيع في تخصص التاريخ.
- شح الكتب الخاصة بالتاريخ عامة والتاريخ الفكري والفلسفي الأوروبي خاصة في مكتبات الجامعة والكلية.

الفصل الأول

نشأة فكر التنوير في أوروبا

يُعتبر التنوير تيارًا فلسفيًا اجتماعيًا سعى ممثلوه إلى تصحيح عيوب المجتمع من خلال تفسير أخلاقياته وأساليبه، وذلك عبر نشر آرائهم حول الخير والعدالة والمعرفة الفلسفية، التي تُعد من أسس عصر التنوير. تشير الرواية الرسمية لعصر التنوير، المعروف أيضًا بعصر الأنوار، ظهر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوروبا، معبرًا عن الفكر الليبرالي البورجوازي الذي يتسم بالنزعة العقلانية والعلمية، ويتضمن توجهًا ماديًا واضحًا بعد استبعاد اللاهوت، حيث تم الاعتماد على العقل بدلاً من الفكر الغيبي في تفسير ظواهر العالم. وقد ساد هذا الفكر في أوروبا بفضل تأثير الطبقة المثقفة، مما أدى إلى إطلاق لقب "*عصر العقل أو دين العقلانية*" على هذا العصر.

أولاً: مفهوم التنوير (Lumière).

لتنوير دلالة لغوية وفلسفية حيث فرقت المعاجم اللغوية بين المعنى اللغوي والفلسفية[1].

1. مفهوم التنوير لغة:

عرفه ابن المنظور في معجم اللسان العربي على أن التنوير وقت الأسفار، ويقال قد نّور الصبح تنويرا.

والتنوير بمعنى الإنارة، الإسفار، مواقيت الصلاة ويقال نّور بالفجر أي صلاّها، وكلمة التنوير أتت من كلمة النور وهي من أسماء الله تعالى، وقال ابن الأثير: "*هو الذي يبصر بنوره ذو الحماية ويرشد بعداه ذو الغواية*". ونجد من كلمة التنوير نارا، ونورا، واستنارة ونّور بمعنى واحد أي أضاء واستنار به[2].

التنوير في أصله يعود لمصدر نّور ونجد في معجم أن كلمة تأتي بمعنى أضاء، ونّور على فلان أي أرشده وبين له أمرا، ويقال نّور الله قلبه بمعنى هداه إلى الحق والخير وعمل على تنوير فكره أي جعله متنورا.

---

[1]– ابن منظور، معجم لسان العرب، دار المعارف، ط1، القاهرة ،2016، ص.4571.

[2]– رحيم محمد الساعدي، التنوير والخيال، قراءة في محرك التنوير، مؤتمر الفلسفة في المستنصرية، الجامعة المستنصرية، 2019، ص. 2.

أما الأنوار قد سمي به عصر الأنوار بهذا الاسم، يقال انه أوضح وأبيّن، والأنوار بمعنى الحسن المشرق لون[1].

وعرفه أحمد المختار عبد الحميد عمر على التنوير على أنه: "*حركة فكرية فلسفية بدأت في القرن الثامن عشر تتميز بفكرة التقدم وعدم الثقة بالتقاليد والتفاؤل والإيمان بالعقل والعلم والتجريب*".

2. التنوير اصطلاحا[2]:

والتنوير كمصطلح شائع في الحياة الفكرية فهو مصطلح أوروبي النشأة والمضمون والإيحاءات بل أنه عنوان عن نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية من مراحل الفكر الأوروبي الحديث، في الوقت الذي فرضت الكنيسة هيمنتها برزت عقلانية الرافضة لكهنوت وتحرر من المسيحية وكانت ردة فعل التنويرية أن أعلنت رفضها لسلطان الدين ورفع شعار القائل "*لا سلطان على العقل إلاَ العقل*"[3].

أما تعريف الفلاسفة للتنوير فقد عرفه دالمبير[4]: "*في مقالته محاولات في عناصر الفلسفة*"، الذي ينطلق في ملاحظة مفادها أن القرون الثلاثة التي سبقت منتصف القرن الثامن عشر شهدت انقلابا مهما في الحياة العقلية التي ظهرت في القرن الخامس عشر والتي سميت بـ"الحركة العقلية الأدبية" أو "النهضة" (Renaissance).

بلغ الإصلاح الديني ذروته في القرن السادس عشر، بينما شهد القرن السابع عشر انتصار الفلسفة الديكارتية التي غيرت صورة العالم تغييرا حاسما، ويتساءل ديكارت هل

---

[1]– أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، المجلد الأول، عالم الكتب، 2008. ص2302،

[2]– رحيم الساعدي، التنوير والخيال، مرجع سابق، ص. 3.

[3]– محمد عمارة، **ويسألونك عن التنوير**، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ع 6–7، أبريل 2008.

[4]– **جان ليرون دالمبير**: (Jean le Rond d'Alembert) كان عالماً فرنسياً في مجالات الرياضيات والميكانيك والفيزياء بالإضافة إلى كونه فيلسوفاً. يُعتبر دالمبير أحد الأعضاء الرئيسيين في الموسوعة المعروفة باسم "دائرة المعارف الفرنسية" (Encyclopédie)، شارك في تحرير الموسوعة مع دني ديدرو https://www.marefa.org.

يمكن للقرن الثامن عشر أن يثبت حركة مشابهة لها؟ ويقول: كيف يمكن تحديد مساوئها واتجاهاتها الأساسية العامة؟ بينما يستأنف كلامه متحدثا: "*حالما يتأمل المرء بتعمق في منتصف القرن الذي نعيش فيه، وحالما يتحقق من الأحداث التي تقع أمامنا، والعادات التي نعيش بين ظهرانها والأفعال التي نأتي بها سوف يتبين من غير مشقة أن تحولا ملحوظا يجري في جميع أفكارنا: إنهُ تحول يعد من خلال سرعته بانقلاب أكثر اتساعا في المستقبل... وسوف يتسنى للأجيال القادمة معرفة مزاياه وعيوبه بصورة أفضل منا*"[1].

ويرى الباحث البلجيكي "رولان موتييه" أن القرن الثامن عشر هو أول قرن في التاريخ يشعر بذاتيته وكيانه ووحدانيته على أنه مكلف بتأدية المهمة للبشرية هي: "التنوير". إنه أول عصر بلور لنفسه عمل واضح المعالم من خلال الكتابات الفلاسفة والمؤرخين ومعاركهم الفكرية. ومصطلح التنوير يعود إلى هذا العصر بالذات، إلاَ أن هذا المصطلح يبدو أنه كان في بدايته ديني المنشأ قبل أن يتعلموه على يد الفلاسفة في عصر العقلاني في القرن الثامن عشر. استمر هذا المفهوم الديني طيلة العصور الوسطى في الكتابات اللاهوتيين المسيحيين أنه يدل على الوحي المنير أو الاشراقي الذي يضيء للإنسان طبيعته وغاياته في حياة الدنيا والآخرة.

فيما بعد انتقل من المفهوم الديني القديم إلى معجم الفلسفي الحديث وكان ذلك على يد "رونييه ديكارت"(1595-1650)، ويعد أول من إستخدم مصطلح التنوير (النور) بالمعنى الحديث والمفصول عن الدين ويتحدث قائلا: "*معظم الحقائق التي يتوصل اليها الإنسان عن طريق العقل فقط*"[2]، *إذ أن ديكارت لم يستخدم هذا المصطلح كسلاح ضد الدين أو رجال الدين كما سيفعل كل من "فولتير" و"ديدرو".*

---

[1]- إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، إبراهيم أبو هشهش، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ط1، بيروت، 2018، ص40.

[2]- حواء سالم محمد سالم، **التنوير في القرن الثامن عشر وأثره العقلانية فيه**، مجلة سبها للعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، ليبيا، العدد 20، 2021، ص3.

ونفس الفكرة قائمة عند تلميذ ديكارت "مالبرانش" الذي أحب المصطلح لدرجة الهوس ونجده يتكرر لديه بكثرة أين تفوق عنده أكثر من مصطلح العدالة والخطيئة ومثال على ذلك في استخدامه لهذا المصطلح في كتابه "البحث عن الحقيقة: *"ينبغي على الإنسان أن يحاكم كل شيء طبقا للأنوار الداخلية بدون الانصياع إلى الشهادة الخاطئة والمختلطة لأحاسيسه وخيالاته"*[1].

كما نجد أيضا المفكر البروتيستانتي "بيبر بايل"[2] والذي يغلب ولأول مرة في التاريخ الفكر النور الطبيعي على النور فوق الطبيعي من دون أن ينكر الثاني ويعتبر خطوة جديدة في اتجاه التحرر من اللاهوت الديني والتوصل إلى العقلنة الكاملة لاحقا. فالعقل البشري لم يتحرر من اللاهوت الدين المسيحي دفعة واحدة وإنما بدفعات إلاَ أن مصطلح التنوير بدأ يتخلص من الحالة الدينية تدريجيا لكي يدل على عصره بأسره الذي هو عصر التحرر العقلي والفكري في القرن الثامن عشر وتخليص البشرية الأوروبية وغير الأوروبية من ظلمات العصور الوسطى وهيمنة الرجال الكنيسة[3].

وهنا نصل إلى سمَات عصر التنوير: *"أن التنوير يعني قبل كل شيء توليد مفهوم آخر للدين وبالتالي فأن التحرير الديني سبق التحرير العلمي أو رافقه واحتضنه"*[4]، كما لا ينبغي الخلط بين التنوير والإلحاد أو بين التنوير والكفر، وإنما التنوير يعني توليد إيمان جديد ينهض على أنقاض الإيمان القديم، وفي كلمة لي "غوتيه" عن عصر التنوير التي تقول: *"أن تاريخ البشرية كله ما هو إلا صراع بين الإيمان والإيمان وبين الاعتقاد بشيء أو عدمية الاعتقاد"*.

---

[1]– هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان، 2006، ص. 138-139

[2]– المرجع نفسه، ص 140

[3]– نفسه، ص. 146

[4]– نفسه، ص. 150

ثانيا: الجذور التاريخية لظهور فكر التنوير:

تعود جذور التنوير إلى فرنسيس بيكون (1561-1626) الذي رفض تدخل الدين في المعرفة، لأنه يعتقد أن الدين يحد من كل ألوان المعرفة. أما القرن الثامن عشر فقد شهد صعود موجة الفكر التنويري وتوالت أعلام مثل: فولتير، جون جاك روسو، مونتسكيو هيردر، ليسينغ، شيلر، جوته، كانط وغيرهم. حتى سمي هذا العصر بعصر التنوير الأوروبي. كان فولتير من أبرز فلاسفة ومفكري هذا العصر. فقد دع إلى تمجيد العقل بديلا عن القداسة الدين وشن حملة شرسة ضد الدين والكنيسة وأنكر عالم الغيب والبعث وجزاء الآخرة، وكتب كثيرا في النقد الدين الذي اتخذه رجال الدين وسيلة لإرباك أذهان الناس واستخدمه الملوك لسلب أموالهم، وجعل مقاييس الفضيلة في مدى ما تحققه من الخير الاجتماعي قاطعا بينها وبين طاعة الله في الثواب والعقاب بعد الموت[1].

أما "كانطّ عرف مصطلح التنوير على أنه: "*خروج الانسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن الرشد كما عرف قصور العقل على أنه التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي أو اتخاذ أي سلوك أو قرار بدون استشارة الوصي عليه*". ومن هنا جاءت صرخته التنويرية: "*اعملوا بعقولكم أيها البشر لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم فلا تتواكلوا بعد اليوم للكسل أو القدر أو المكتوب، تحركوا وانشطوا في الحياة بشكل إيجابي فالله زودكم بالعقل وينبغي ان تستخدموه*"[2].

وإذا نظرنا إلى بدايات عصر التنوير نجد عدم توافق في أراء حول تاريخ تبلوره فبعضهم يرى ان بداية عصر التنوير ترجع إلى الحضارة اليونانية، ذلك لأن طاليس أول من حرر الوجود الإنساني من سلطة سلطان طاغية والأسطورة ودفع به في اتجاه العالم العقلي وحده، حيث قدم المنهج العلمي في دراسته للطبيعة وفي بحثه عن أصل الوجود. وهناك من

[1]- رحيم محمد الساعدي، مرجع سابق، ص. 3

[2]- عوض بالقاسم علي يونس، **دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية**، مجلة البحث العلمي في الآداب، قسم الفلسفة، كلية البنات، جامعة عين الشمس، ع 5، ليبيا، 2016، ص3.

يرى أن الأنوار بدأت من الكوجيتو الديكارتي *أنا أفكر اذن أنا موجود*"، أي من هذه اللحظة تحرر فيه العقل البشري (عقل الفرد) من مكبلاته الغيبية التي بدأت فيها نتائج العقل بتواصل والتفاعل مع بعضه البعض.

إذ تعد بداية التنوير أو الأنوار بتفاعل والتواصل حتى قيل إن الحضارة التي أطلقها العقل البشري شيدتها المواصلات ووسائل الاتصال، وهي اليوم حضارة أدركت ما أدركته في مجال اكتشاف المجاهل الطبيعية إلى أن استمرت البشرية في ابتكار أشكال وأوجه التواصل لم تكن تتخيلها مرحلة الأنوار في أول ظهورها. ويعزى اختلاف الآراء في البداية التاريخية لعصر التنوير حيث أن هناك من يرى أن بداية عصر التنوير كان في منتصف القرن السابع عشر.

وهناك من يرجع بعصر التنوير إلى نيوتن وذلك مع انتشار مبادئ الرياضات[1]. إذ كان عصر التنوير دافعا حارا عن العقل كأفضل وسيلة لإنشاء حكومة ونظام أخلاقي بل حتى ديانة جديدة تساعد الجنس البشري بالوصول إلى الحقيقة الموضوعية شاملة والثورة العلمية بدأها نيوتن، إذ كان مفكرو عصر التنوير يؤكدون بأن العقل قادر على تحرير الانسان من الخرافات والسلطة الدينية التي أدت إلى خلق المعاناة وموت الملايين من البشر في الحروب الدينية، وكنتيجة منطقية فإنه أدى إلى ظهور الإلحاد[2]. ومهما يكن أمر هذا التباين فإن الأمر الشائع والمألوف أن عصر التنوير هو القرن الثامن عشر الذي شكل منعطفا حاسما في تاريخ الحضارة الأوروبية. وهذا لا شك فيه السابقة له، إذ لا يمكننا أن نمرر ما قدمه مفكرو النهضة في استنارة العقل وتشكيله في هذا القرن، وهما "جون لوك" و"نيوتن"، إذ لم يكن نيوتن فقط رائدا في العلم الحديث، فقد كانت لقوانينه أثر في هذا

[1]– حواء سالم محمد سالم، مرجع سابق، ص 58.

[2]– نفسه، ص.3

القرن[1]. كما اختلف المفكرون حول معنى التنوير واستمر هذا دون توقف وهذا لتعدد المرادفات التي تشير إلى التنوير في اللغات المختلفة مثل: أوفكلارنج (Aufklarung) بالألمانية، لومبير (Lumière) بالفرنسية، وأليومينيزمو بالايطالية (Illuminismo)[2].

كان التنوير بالنسبة لـ "مندلسون"[3] مصطلحا صعب التعريف لأنه يشير إلى عملية أبعد ما تكون عن الكمال في زمنه، تتمثل في عملية تعليم الانسان استعمال العقل أين كانت كلمة العقل (Raison) كلمة محورية في الفكر التنويري[4]، إذ أكد المفكر الألماني "كارل فريديريش": "*على أن أغلى قيمة يمتلكها الانسان إنما هي قيمة الحرية، وأن أغلى الحرية هي حرية التفكير والحال أن حرية التفكير وإبداء الحكم هي المصدر الحقيقي الوحيد لكل الأنوار الإنسانية، وأن هذه الأفكار هي أصل كل سعادة البشرية ، وكلما ازداد تنور الانسان ازدادت فرص أن يصير أنسانا سعيدا*"[5].

فعصر الأنوار هو العصر الذي تم فيه اكتشاف استقلال العقل وفرضه في كافة الميادين الحياة وذلك بعد أن ظل لعهود طويلة ينظر اليه بوصفه "خادم الوحي" أو عبد

---

[1]– نفسه، ص58

[2]– دوريندا أوترام ، التنوير، ماجد موريس إبراهيم ، دار الفارابي مؤسسة محمد راشد آل مكتوم، ط1، بيروت، 2008 ص. 53.

[3]– **فيلكس مندلوسن بارتولدي**: (1809 –1847) هو موسيقار ألماني وقائد أوركسترا بارز في الحقبة الرومانسية المبكرة. وُلد في عائلة يهودية معروفة، حيث كان جده "موسى مندلسون" فيلسوفًا ألمانيًا بارزًا في القرن الثامن عشر. تشمل أعماله الموسيقية مجموعة من السيمفونيات، بالإضافة إلى الكونشرتو، والأوراتوريو، وأعمال للبيانو وموسيقى الحجرة. تعرضت أعماله لتجاهل كبير من النقاد خلال القرن التاسع عشر بسبب التغيرات الكبيرة التي شهدتها الموسيقى في تلك الفترة، خاصة في عصر "فاجنر"، حيث اعتُبر مندلسون متأخرًا عن تلك التطورات. ومع ذلك، فإن إعادة تقييم أعماله في القرن الماضي، والحيادية التي اتخذها معظم النقاد تجاه آراء القرن التاسع، أظهرت أصالته الإبداعية وأكدت أنه، بإنصاف يعد واحدًا من أعظم الموسيقيين في الحقبة الرومانسي. https://www.marefa.org

[4]– دوريندا أوترام، مرجع سابق، ص. 55

[5]– محمد الشيخ، ما معنى التنوير سؤال التنوير وحيثياته وأجوبته في الفكر الغربي، مقال فلسفي، مجلة المجور ص117.

اللاهوت. وقد قامت حركة الأنوار على أساس فكرة تصحيح شوائبه واستبدالها بحقائق[1]. وكان ديكارت أول من أستخدم مصطلح التنوير (النور) بمعنى الحديث المفصول عن المعنى الديني، فهو مثلا يتحدث عن النور الديني والذي يقصد به مجمل الحقائق التي يتوصل اليها الانسان عن طريق استخدام عقله فقط، تكرار مع صفحة 4. اذ استخدم هذا المصطلح ضمن سياق الاحترام الكامل للقيم الدينية مثلها قال في كتابه مبادئ الفلسفة: *إن ملكة المعرفة التي وهبنا الله إياها والتي ندعوها بالنور الطبيعي لا تخلط أبدا أي شيء إلا وهو صحيح في لحظته*"[2].

بعدها جاء ليبنتز (1646_1716) ليستعيد نفس الفكرة ويقول: *أن العقل هو سلسلة الحقائق التي نعرفها بواسطة النور الطبيعي (الضوء الطبيعي) الذي وهبنا الله إياه*". إذ بدأ هذا المشروع على يد "كوندورسيه" بوضوح في كتابه الشهير 'مخطط بيان التاريخي لتقدم روح البشرية أو العقل البشري 1794 والذي قسم التاريخ الأوروبي إلى عشر مراحل من تتطور، واعتبر المرحلة التي كان يعيشها المرحلة التاسعة، وانتهى إلى العقول بأن أوروبا على عتبة المرحلة العاشرة أي المرحلة الكمال[3].

وأهم المبادئ هذا العصر:

1. **العقل:** حيث كان العقل في القرن الثامن عشر يمثل تيارات الفكر الأساسية وأعلامها على الساحة الأوروبية أساسا. وصياغة المزاج الفكري لإنسان عصر التنوير داخل القارة الأوروبية.

كان لهذا العقل السيادة الحضارية بعد الظلام الدامس الذي أصاب أوروبا منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية حتى انبعاث الحركات الإصلاحية والنهضة والتنوير. لم يكن اخراج

---

[1]– محمد شيخ، مرجع سابق، ص123.

[2]– هاشم صالح، مرجع سابق، ص. 139

[3]– رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث (1601–1977)، أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، ط 3، القاهرة، 1415ه / 1994، ص241.

العقل من العصور الوسطى إلى العصر الحديث بأمر الهيين والسهل. كما أكدت كل الشواهد على أن للعقل انعكاسات على عصر التنوير، بحيث تحولت أفكار العصر إلى العلوم ونصوص لنقد الكتب المقدسة فتحول ما ظنه القدماء عقائد موحى بها أو نصوصا مقدسة إلى موضوعات تاريخية. كما تجلت ثورة العقل في اتجاه نحو المادية العلمية، مجملها أن الحياة تتبين لنا بالمادة وحدها وما دام العقل مكلفا بالاستجلاء الحقيقة وكشف الأخطاء فهذه هي وضيفة الفلسفة والعلم ومدام العقل هو الذي ينير لكل انسان وجوده اذن هو التنوير.

2. **القانون الطبيعي:** هو مبدأ الفعلي أو الانفعال الدائم الحركة إذ في القرن الثامن عشر أخذت فكرة القانون الطبيعي في مقابل القانون الوضعي والدين الطبيعي مقابل الدين. كتب فولتير في معجمه الفلسفي: "أن كلمة الطبيعة شيء مادي وما فوق الطبيعة فهو شيء غير مادي بل ميتافيزيقي لا ينبغي البحث فيه"[1]. كان العقل هو ما دفع معظم مفكري التنوير إلى رفض الإيمان بالإله ذي الصفات البشرية مهتم بشؤون الانسان وأظهر استخدام العقل أن القصص المأثورة عن المعجزات مثار لشك، وأن أسلوب مؤلفي الكتب المقدسة بشري أكثر من اللازم والظواهر الطبيعية تحدث دون اعتبار من البشر وان مختلف الثقافات تؤمن بآلهة متعارضة ومتنافية مع بعضها البعض، ليس أحدها دونها عن غيره منزها عن أن يكون نتاج الخيال مثلما كتب مونتيسكيو: *"لو كان للمثلثات ألٰه لتصوره بثلاثة أضلاع"*. رغم ذلك لم يكن كل مفكري التنوير ملحدين بل كان بعضهم يعتقدون أن الله قد خلق الكون، ثم ابتعد وسمح له بالسير وفقا لقوانين الطبيعة، إذ كان بعضهم مؤمنين بالواحدية، التي كانت تستخدم كلمة الله للتعبير عن قوانين الطبيعة اذ يخلط الكتاب اليوم بين تأييد التنوير لاستخدام العقل من جانب والادعاء غير مقبول أن البشر[2] كائنات فاعلة عقلانية تماما.

---

[1]–حواء سالم امحمد سالم، مرجع سابق، ص 59.

[2]– ستيفن بينكر، التنوير الآن دفاعا عن العقل والعلم والنزعة الإنسانية والتقدم، حلا جمل، شعار الفايكنج لنشر والتوزيع 2018، د ب ن ، ص18.

ثالثا: ظهور حركة التنوير في فرنسا:

يرى بعض كبار المؤرخين المعاصرين أن فونتينل (1657–1757) أول من احتفل بموضوع عصر التنوير بحيث عبر عن سعادته بالتحولاَت التي طرأت على الحياة الثقافية الفرنسية وسؤال الذي يطرح نفسه، كيف انبثق التنوير في فرنسا وكيف انتقلت فرنسا من عصر الكاثوليكية المطلقة الى عصر الاستنارة؟ إذ يقول: "*منذ فترة قصيرة انتشرت في بلادنا روح فلسفية جديدة كليا تقريبا. انها عبارة عن نور لم يتح لأسلافنا أن يستضيئوا به، وكان حضنا*"، ويقول أيضا: "*نحن مستضئون بأنوار الدين الحقيقي، وأعتقد ببعض أشعة الفلسفة الحقيقية. نحن أكثر استنارة بألف مرة من أناس العصور السابقة الذين اخترعوا الخرافات والخزعبلات*". حيث شعر فونتنيل أنه يعيش في عصر المستنير على الأقل في مجال الفلسفة وخاصة بعد فولتير.

في عام 1760 أخذت كتب روسو تصدر كذلك كتب ديدرو وفولتير والبارون هولباخ[1]. وعلى الرغم من ظهور التنوير في النصف الأول من القرن الثامن عشر إلاَ أنه لم يبرز إلاَ في النصف الثاني منه، وسبب لم يكن فقط يعود إلى الأحداث السياسية والاجتماعية فقط، وإنما الحدث الأساسي فكري، ويتمثل ذلك في صدور الانسيكلوبيديا (الموسوعة) التي أشرف عليها ديدرو ويعد مشروع فكري كبير[2].

بينما غريم (1753–1808) صاحب مجلة المراسلة الأدبية وصديق ديدرو وروسو متفائل ومتشائم في نفس الوقت. وهذا لتخوفه من ردة فعل المحافظين الذين كانوا يشكلون الأغلبية المؤسسة الفرنسية العريقة إذ قال: "*هناك نوع من البشر، وهم الأغلبية ممن لا يؤثر*

---

[1]– **هولباخ** أو **دولباك**: ألماني عاش في باريس اصطنع المادية المطلقة وكان له تأثير كبير ذهب الى أن المادة متحركة بذاتها، وأن كل شيء يفسر بالمادة والحركة، وأنهما ازليتان أبديتان خاضعتان لقوانين ضرورية هي خصائصهما فليس العالم متروكا للصدفة ولا مدبر بإله وكل الأدلة على وجود لله منقوضة، ولاَ غائبة في طبيعة ليست العين مصنوعة للرؤية ولا القدم للمشي ولكن المشي والرؤية نتيجتان لاجتماع أجزاء المادة، ولكن فكر وظيفة الدماغ والفرق بين العقول نتيجة بين الادمغة ولا حرية فإن القول بها بأنكار النظام الكوني.

[2]– هاشم صالح، مرجع سابق، صص. 141–142

فيهم التنوير الفكري، إنهم يظلون مصّرين على الجهل والتعصب". ولكن بعد عام 1765 لم يعد متفائلا إذ أصبح أكثر خيبة ومرارة وأصبح يشك في التنوير وقدرة البشر على استيعابه. وإذ يقول: *أن لحظات التنوير قصيرة جدا في تاريخ البشرية*"، ويضيف: *أن تنوير شعب ما ينحصر بالضرورة في قلة قليلة النخبة معينة وأما أغلبية البشر فيصعب تنويرهم*".

وكل هذا بسبب الأحداث الطائفية التي حصلت في فرنسا وقت ذلك ما يدل على التعصب الراسخ في النفوس ويصعب اقتلاعه، أين اضطهدت البروتستانتية بشكل مرعب من الأغلبية الكاثوليكية، كقضية سيرفين، لابار، حيث تم حرقهم وقتلهم بتهمة الخروج على المسيحية وعدم التقييد بشعائرها وطقوسها ما يجعل فرنسا بعيدة جدا عن التنوير. إذ اتفق معظم الباحثين على أن عصر التنوير يشكل منعطفا تاريخيا حاسما في تاريخ الحضارة الأوروبية[1].

طرأت عليه عدة تحولات هامة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لكل الشعوب الأوروبية وخاصة الغربية منها، ومع التطور الذي سجله هذا القرن في ميدان الفكرة والحياة العقلية لا يقل أهمية عن الميادين الأخرى بل الأهم ما جعل الهياكل الاقطاعية والكنائسية لم تستطع ان تحجبها أو توقفها لما لدى هذه الحركة من قوة وثقة بنفسها وتسلحها بالعقل، وما ميز الاستنارة عن عصر النهضة لا تقوم على تكريس وتقديس سلطة القدامى والتقاليد بل عملت على تحرير الانسان من كل القيود والقيم والمعايير القديمة التي تكبله وتحد من حريته وتدفعه إلى أخذ ورسم معالم مستقبله بكل حرية. كما ركزت على ضرورة إعادة النظر في طبيعة الانسان وجوهرها، بعدما كانت الكنيسة تؤكد على ان طبيعة الانسان في قيمها ذات طبيعة فاسدة وشريرة وصوروا الإله: "*على أنه قاضي حازم ينزل العقاب بمخلوقاته بدون شفقة*".

[1]– هشام صالح، مرجع سابق، ص. 134

ينظر المفكرون إلى الإله على أنه أب رحيم يريد للبشرية أن تعيش بسعادة فجعل له الطبيعة كوسيلة لتحقيق ذلك. ومع المفهوم الجديد الذي يكرس أعمال العقل امتدت اشعاعاته إلى كل أوروبا ما يحمل من بشائر البذور الثورة الجديدة وكانت أفكار هذه الحركة تتحرك بكل حرية في البلدان البروتستانتية.

لكن في البلدان الكاثوليكية تعرضت الاضطهاد الكنيسي إلاَ أنه وجدت سبيلا للانتشار عن طريق الكتب والمنشورات التي كانت تطبع خفية وتتداول بين سرابين الجمهور المتعلمين. ولعبت النوادي والصالونات دورا كبيرا في انتشار الفكر وأعمال العقل ونجد بالخصوص الجمعيات الماسونية تحديدا التي كان لها دور بارز في ترويج هذه الأفكار بين المثقفين[1]. وانطلاقا من هذه الأفكار بدأت تنتشر بين الناس مفاهيم جديدة تتمثل في الحرية والمساواة والعدل وهي شعارات ستتبناها الثورة الفرنسية، ما دفع بالفكر السياسي في القرن الثامن عشر بظهور مفكرين بارزين يعودون إلى هذا العصر أمثال فولتير وروسو ومونتسكيو.

كان الفلاسفة فرنسيين يعيشون في بلد لم يكن ذا طابع الحكم المطلق ولا حر، إذ كان يصعب عليهم أن يتطلعوا إلى التأثير في السياسة مثلما فعل أندادهم البريطانيين وكل ما استطاعوا فعله ويتطلعوا إليه هو التفكير الجريء، التفكير الذي لا تقييده اعتبارات علمية مثل كيف تترجم أفكارهم إلى حقيقة واقعية، إذ جسدت "الموسوعة" روح التنوير الفرنسي وتكونت الطبعة الأولى منها ونشرت ما بين 1751-1772 في سبعة عشر مجلدا، كما ظهرت سبعة مجلدات إضافية بين عام 1772-1780.

كانت حياة الانسان الظاهرة عنوان الحياة الخفية نشأت عن التقاليد والمشاعر، والحياة الخفية هي التي ترشد الانسان وتحدث فيه مبادئ مهيمنة. كان انماء روح الانتقاد التي لا

[1]- جمال قنان، مظاهر من تطور أوروبا في القرن الثامن عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، بن عكنون، الجزائر 1984، صص. 91-98.

تقاومها المعتقدات ونشأ عن نمو الروح الانتقاد تدرج الناس إلى ازدراء ما كان محترما واضمحلت التقاليد والحرمات وسقط البنيان الاجتماعي بغتة، إذ أثر الفلاسفة في الطبقة المتعلمة وعجزوا عن التأثير في الشعب الذي يقتدي ويتبع، إذ بعد تعميم مبدأ الثورة وأسندوا تلك القدرة إلى العقل، أوقدوا نار الثورة وسيرها من أولها إلى أخرها بعد ان استعان به الناس على تحطيم قيود الماضي وإقامة مجتمع جديد[1].

[1]– غوستاف لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية، عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، صص93–94.

الفصل الثاني

مفكري التنوير:

1- فولتير
2- مونتسكيو
3- جون جاك روسو

قبل أربعة عقود من الثورة الفرنسية (1789)، شهدت فرنسا حركة فكرية قوية تُعرف بحركة التنوير. كان هدف المنورين هو تفكيك أسس الأيديولوجية الإقطاعية وتفنيد الأوهام والمعتقدات الدينية. كما ناضلوا من أجل تعزيز روح التسامح الديني وحرية الفكر والبحث العلمي والفلسفي، مع التركيز على أهمية العقل والعلم.

تأسس التنوير الفرنسي، مثل نظيره الإنجليزي، على نجاحات العلم الجديد، وكان له دور فعّال في تعزيز الفكر العلمي. ومع ذلك، لم يكن التنوير الفرنسي تيارًا موحدًا في فلسفته، بل كان متنوعًا في جوانبه، حيث استمد المنورون الفرنسيون أفكارهم من مصادر متعددة، وكان التنوير الإنجليزي أحد هذه المصادر، مما ساهم في تعزيز حركة الفكر الاجتماعي والفلسفي الصاعد.

بدأ المثقفون الفرنسيون، بفضل فولتير ومونتسكيو، في التعرف على إنجلترا الجديدة وثقافتها، حيث قاموا بنشر آراء نيوتن في فرنسا وأطلعوا العلماء الفرنسيين على نظم المؤسسات الدستورية الإنجليزية. كما سعى مونتسكيو إلى تعريف الفرنسيين بحقوق الإنجليز وتأثير أفكار "لوك" عليهم، مما دفعهم إلى قراءة أعماله. في هذا الفصل، نستعرض أبرز الفلاسفة الفرنسيين الذين ساهموا في تنوير الرأي العام الفرنسي وتأثيرهم قبل الثورة الفرنسية سنة 1789.

أولاً: فولتير (1694-1778):

1. نشأته:

إن فولتير فيلسوف فرنسي عالمي وكتب في عدة مجالات منها الشعر والمسرح والروايات وكما كتب أيضا في التاريخ وهو من أعظم فلاسفة القرن الثامن عشر عمل على محاربة الجهل وطغيان وقام بدفاع عن حقوق المدنية للإنسان وحرية المعتقد، ويعد فولتير

أحد الرموز العالمية في الحرية والتنوير، اذ لعبت كتاباته دور كبير في قيام الثورة الفرنسية ضد القهر وطغيان وعمل على إدخال التحضر والتقدم[1].

لو كانت السعادة نتيجة طبيعية للمواهب وما تؤمنه من نفوذ لأصحابها لوجب ان يكون فولتير من اسعد الناس طرا وأعمق أثر لاتساع عبقريته، إلاَ أنه كتب في عام 1770 إلى الماركيز دي فلوريان: *"أن نهاية الحياة كئيبة، ومنتصفها لا يساوي شيئا وبدايتها مضحكة" وكتب أيضا إلى "مدام دو ديفان" أني أقضي وقتي في النطنطة على حافة قبري. وهذا لعمري ما يفعله البشر جميعا. فهم جميعا بين ضاحك لاه وباك حزين"*[2].

ولد فرانسوا ماري آروويه المسمى "فولتير" في 16 فيفري 1694[3]، من أب ثري يشغل منصب حكوميا وأمين صندوق في ديوان المحاسبات وأمه مارغريت دومون التي تعود إلى عائلة من صغار النبلاء من مقاطعة (بواتو) إلاَ أنه كان قليل الصحة ودائم الشكوى رغم ذلك اعتمر ثمانية وثمانين عاما[4]. يجمع بين حسب نبيل وثروة وسلطة ملكية حيث ترعرع في كنف حظ والرغد العيش وأسرة سياسية، حاز على دراسة عالية في كلية لويس العظيم وهي كليه راقية في باريس يشرف عليها اليسوعيين، وتعرف بدوره على الأدب الجديدة من خلال أبيه الذي كان سابقا شغوفا بالأدب ومشاركا في الحركات الأدبية الثقافية في باريس عامة وفي قصر فرساي خاصة إلا أنه نقم على ولده بأن لا يصبح كاتبا وخالفه بشدة ورغب ان يراه يتربع على عرش المناصب والوظائف الحكومية[5].

درس في معهد لوي لوغران خير مؤسسة يسوعية للتعليم في فرنسا اين تلقى تربية أدبية ممتازة عمادها اللاتينية، حافظ فولتير على صيلاته بأساتذته القدامى بحيث طبع كتابه

---

[1]– أحمد جعيب كاظم، حسين عبد الزهرة الشيخ، التنوير الفرنسي: الانسان العقلاني فولتير نموذجا، مجلة الحوليات آداب عين الشمس المجلد 50، ع يوليو، سبتمبر 2022، ص42.

[2]– اندري كريسون، فولتير حياته آثاره فلسفته، تر. صباح محي الدين، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1984، ص5.

[3]– مشرف بك مشرف، فولتير، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة الحكمة، 2017، ص4.

[4]– اندري كريسون، مرجع سابق، ص10.

[5]– مشرف بك مشرف، فولتير، مرجع سابق، ص4.

الأول بفضل وساطة اليسوعيين تمثل في أنشودة للقديسة جنيف، كان ينهشه الظمأ إلى الشهرة بعد رفضه مزاولة الحقوق.

كان مقررا من أبيه فنفاه إلى مدينة كان بناء على قرار أبيه، كان طموح في اختياراته بحيث مثلت له مسرحية أوديب التي تمثل مأساة فلسفية انتقاديه التي لاقت نجاحا كبيرا وأصبح خليفة لكورناي وراسين بل وتجاوزهم بفضل ملحمته التي هاجم فيها التعصب "الهنرياذة"، أين فتحت له أبواب البلاط ومثلت له ثلاث مسرحيات. كان فيلسوفا مناضلا بدأ يسخر من التوراة والإنجيل ومن أباء الكنيسة وجهر بنفسه على اعتناقه المذهب العدواني وأخذا بنصيحة من اللورد بولينغبروك على مطالعة ولقراءة ل جون لوك بعد ان تعلم اللغة الإنجليزية، وسارع في الانتقام من الفارس دي روهان بعد أن أمر بضربه بالعصى مما ساقه بالسرعة إلى سجن الباستيل وكان شريطة خروجه السفر إلى انجلترا[1].

بعد أن كان طالبا للحقوق تحت رغبة ابيه واشتغل مساعد المحام، ما لبث أن صار أمينا عاما لدى السفير الفرنسي لكن لم يبق في أي منصب من المناصب واستقال منهم كلها لأسباب قد تكون من الفضيحة الشخصية.

كان من شخصيته أنه محب للأدب وكان طموحه أن يصير عالم في الأدب وبدأ نجمه يتلألأ بغير عناء في سماء النوادي الأدبية وكذلك في البلاط، ومن ذكائه أراد أن ينال رضا أحد النبلاء والأثرياء الذين يدعمون الادباء والفنانين[2].

2. فلسفة التنوير عند فولتير:

في الوقت الذي قيل إذا كان القرن السابع عشر ينسب إلى لويس الرابع عشر فإن القرن الثامن عشر كان ينسب إلى فولتير، وبالفعل أنه لا يوجد أي عقل يمثل ذلك العصر الساطع الحي أفضل من عقله، بحيث كان القرن الثامن عشر هو القرن الذي نهضت فيه

[1]– جورج طرابشي معجم الفلاسفة (الفلاسفة –المناطقة – المتكلمون –اللاهوتيين المتصوفون)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، جويلية 2006، ص 471.

[2]– مشرف بك مشرف، مرجع سابق، ص5.

الطبقة المتوسطة أو البورجوازية وفولتير أحد اثرياء هذه الطبقة، في هذا القرن خضعت فيه كل الأنظمة الدينية والملكية والارستقراطية لتحول تام وكان فولتير هو المصلح الكبير[1].

لم يستعد فولتير حريته إلاَ في عام 1718 بعد أحد عشر شهرا وعمل الوصي على العرش بإعطائه ألفي دينار كتعويض عما أصابه فقال له: *"فولتير لا يا سيدي أني اشكر سموك على اعتنائكم بتأمين طعامي ولكن ارجوا كم ان لا تهتموا بإسكاتي بعد الأن"*. وبعد أن خرج من السجن عاود نشاطه الادبي والاجتماعي فقد عرضت له مسرحية أوديب عام 1718 التي عادت له بنجاح عظيم درامي. كما ذكرنا سالفا وكما نشرت له قطع من قصيدته "المعاهدة" وبدأت تتداول بين الصالونات.

لكن لم يلبث إلى أن أصيب بمرض عام 1723 ووصل به إلى حد الموت لكن الاقدار عجلت شفائه، وفي أوت 1726 هاجر إلى إنجلترا[2]. وكان القصر الماء المدرسة الفلسفية الإنجليزية لفولتير وكانت إنجلترا عصا ترحاله ونجاة نفسه بقي فيها من 1726الى 1729 من القرن الثامن عشر، وكان سبب هجرته الاساءة التي تعرض لها من طرف الدوق دي روهان، فاختار ان يصون ماء وجهه ويبقي على كرامته فنجا بنفسه مغادرا بلاده لمدة غير معينة.

بعد إقامته في إنجلترا كان له الشرف أن يلتقي بجوناثان سويفت والسكندر بوب وجون جي، الذي لهم نصيب في القوالب الأدبية من الرواية والمسرحية وغيرها ظهر بعد عدة أشهر من قدوم فولتير إنجلترا وهو الادب الذي يحتضن النقد السياسي. أصدر رفيق فولتير "بولنج بروك في السنة نفسها أول عدد من مجلة *"الصانع البارع"*، السياسية التي قامت منبرا للحزب المحافظ يخاطب عليه الشعب وينتقد حزب الاحرار(اليمينين) والتي كان لها اسم عظيم في صناعة الصحافة الإنجليزية. كما اختلط بغير صاحبه بولنج بروك ووسع دائرة معارفه واحتك

[1]– أندري موروا، نصوص مختارة من فولتير، محمد غلاب، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، مصر، ص8.

[2]– أندري كريسون، مرجع سابق، صص 14–15.

بأسماء جديدة من عالم الأدب مثل تاجرا الذي يحمل اسم" ايويرارد فاكنير". وكذلك مع الشخصيات المرموقة مثل صموئيل كلارك الذي ينتمي إلى أفكار نيوتن الذي توفى عام 1727.

فلم يستطع أن يلتقي به فولتير واختلط بأصحاب المدرسة النيوتينية[1]. وقد أعجب كثيرا بحيوية الأمة الإنجليزية وأدرك أن الإنجليز تدين بقوتها وتجارتها. وبعد المقارنة التي قام بها بين الفرنسيين والانجليز الأعداء التقليدين من حيث التفوق العقلي فكانت نتيجة التسامح الديني للمذهب العقلي العملي للفلاسفة الانجليز أين بدت له أن مملكة لويس الخامس عشر بلد متأخر تضرب فيه المعتقدات الباطلة والخرافات وأطنابها. عمل على كتابة مقال عن "*جزيرة العقل*" يؤنب به أبناء جلدته وتخجلا لهم من أنفسهم.

بعد رجوعه إلى فرنسا نهاية 1728 وبداية 1729 عمل على الاستفادة من الأمثلة الإنجليزية، وأخذ يكتب بنوع من النسخ الشكسبيري وعمل كل من "بروتوس" 1730، زائير 1732. وكان نجاحها مدويا، وآديلائيد 1734، موت القيصر 1735، والزير أو الامريكيون 1736 كما خطى خطوة الناثر فنشر تاريخ شارك الثاني عشر 1731، وهو عبارة عن تاريخ درامي فلسفي، وجاءت بعد الرسائل الفلسفية وبعد الفضائح المدوية التي تتبعه اصدار امر اعتقاله فر واعتكف في قصر سيراي واستغل فترة اقامته هناك في تأليف "رسالة في الميتافيزيقا" وأخرى مبادئ فلسفة نيوتن. كما عمل على طبع الفصول الأولى من عصر لويس الرابع عشر وكما صدرت مسرحية "النبي محمد "1742"ومنع من عرضها في اليوم الثالث[2].

لم يعرف تاريخ الفكر شخصا كرس حياته كلها لمحاربة التعصب الديني مثل فولتير(1694-1778) وأصبح اسمه رمزا يستنجد به الناس في كل مكان في العالم بحيث

[1]- أندري كريسون، مرجع سابق، ص6.

[2]- جورج الطرابشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص. 472.

دعا في كتاباته لتسامح والتعايش السلمي بين الأديان والمذاهب المختلفة واخذ يدعو في كل مؤلفاته واحد تلو اخر بدون كلل ولا ملل، وربما لهذا السبب أهداه نيتشه أحد كتبه قائلا: *"إلى فولتير احد كبار محرري الروح البشرية بل لم يكتف بالكتابة والتنظير وإنما نزل ساحة المعركة مدافعا عن كل المضطهدين لسبب العقائدي أو الفكري، هكذا دافع عن البروتستانتيين، وهو الكاثوليكي أبا عن جد وخاطر بحياته في بعض الفترات ودشن بذلك أسلوبا جديدا للمثقف المنخرط في القضايا العامة، المثقف الذي لا يقف مكتوف الايدي أمام الفظائع التي ترتكب باسم الدين والدين حق من ذلك بريء*[1]. يقول عنه فيكتور هيغو: *"إذا ذكر اسم فولتير فكأننا حددنا مواصفات القرن الثامن عشر كله، وعينا بكلمة واحدة السمات التاريخية والأدبية المزدوجة لذلك العصر الذي كان مهما قيل فيه عصر الانتقال للمجتمع كما للشعر" ويقول عنه أيضا ديورانت". كان لإيطاليا عصر النهضة وكان لألمانيا الإصلاح الديني، وكان لفرنسا فولتير*[2]".

كان فولتير مثلا من الأمثلة الواضحة للبورجوازية بل كان من أسرة بورجوازية وكان من ميزاته الكبرى تفوقه في فنون النقد اين نقد كتاب "روح القوانين" لمونتسكيو وعاب عليه تعمقه في الاستقصاء التاريخي عن أصول القوانين مع عدم دقة ووضوح الحدود الفاصلة بين الملكية والاستبدادية إلى حد قوله أنهما يشبه أحدهما الاخر لدرجة يصعب التفريق بينهما وفي عام 1765 عرض كتابه "آراء جمهورية" تناول بعض الآراء الجريئة فعرف مثلا الحكومة المدنية بأنها *"إرادة الكل يقوم بتنفيذها شخص واحد أو جملة من الأشخاص تبعا لقوانين يدين الجميع بالخضوع لها "*[3].

يعد فولتير من الفلاسفة الأنوار الأكثر دفاعا وإيمانا بمبدأ التسامح فقد جعل كتابا كاملا خصصه بعنوان (رسالة في التسامح) الذي يعد صرخة العصر في وجه التعصب

[1]– هاشم صالح، مرجع سابق، ص215.

[2]– أحمد جعيب كاظم، مرجع سابق، ص 42

[3]– عمر عبد العزيز عمر، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 265.

الديني واقفا في وجه الظلم اللاهوتي للبشر الذي ضاع في شكل رهيب في عصر الظلم والظلام في القرون الوسطى، وظل فولتير يعتقد ان التنوير هو الوحيد الذي من شأنه أن يخطو خطوة بخطوة إلى أن يقوم بتحرير جل مجلات حياته وان تخرج العقول البشرية من مرحلة الظلام إلى رحابة العقل والعلم والحرية بحيث نجد في مخلفاته الأدبية الفكرية لفولتير العديد من المؤلفات الأدبية الشهيرة التي تدين المستويات الدونية والهجينة في الانسان وشكلت على شكل مسرحيات وأعمال درامية[1].

كتب في مؤلفه الشهير "كانديد" (Candide ou l'Optimisme) إلى نبذ الشر بعد تصويره لمشاهد القتل المروعة حيث تحدثت البطلة "كانديد" عن بشاعة البلغاريين الذين تفننوا في قتل الأب والابن وتقطيع الأم إلى أجزاء صغيرة مما جعل البطلة تفكر في الانتقام لنفسها ولأهلها. كما عمل على قطيعة بين عالم اللاهوت والأنا سوت، ففي مؤلفه الفلسفي (Dicionario Filosofico) وهو عبارة عن قاموس يجمع الكثير من القضايا ويشرحها في مواضيع متنوعة في مجال القيم التسامح بروح فلسفية وصبغة واقعية وتحليل موضوعي يحاول فيه إخراج الانسان من أزمته بالدعوة إلى التسامح والحرية[2]. فقد أدرج في قاموسه عن أن الانسان يجب عليه أن يمارس حياته بكل حرية مدام إنه كائن عاقل ويفكر[3].

تعد الحرية المحور الأساسي الذي تدور حوله المجموعة الفلسفية التنويرية لفولتير وقد كتب عقب المصاب الذي أصابه من محنة التي جرى عليها "الرسائل الفلسفية" التي عالجت موضوع الحرية البشرية الذي يري أن الانسان. هو صاحب العقل والإرادة والاخلاق بنور العقل[4]. ويرى الاخلاق تولدها حاجات البشر فيما بينهم بمعزل عن الابعاد الميتافيزيقية أو

[1]– وفاء برتمية، أبعاد التسامح الإنساني في فلسفة فولتير، مجلة علوم الانسان والمجتمع جامعة بسكرة، الجزائر، ع. 26 مارس 2018، ص.507.

[2]– نفس المرجع، ص 508.

[3]– فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، تر يوسف نبيل، مؤسسة الهنداوي لنشر، 2018، ص190.

[4]– مشرف بك مشرف، مرجع سابق، ص18.

الانطولوجيا الإلهية وأحكام الغيب جعل العقل هو الأساس في التشريع الأخلاقي لتعايش وفق القيم النبيلة بين سائر البشر وهذا دليل على رفضه للإيديولوجية الاقطاعية والمسيحية المتغلغلة. ويرى أن الواجب المقدس هو احترام القوانين الطبيعية للإنسان التي وهب الخالق وعد المساس بها مع احترام الحرية الفردية إذ يقول ويرى عن الحرية: *"أنها تتمثل في أن لاَ يخضع المرء إلاَ للقوانين"*[1].

إن فولتير يتصور العالم في تنوعه عالم الانسان المدهش دهشة السائر عجائب الطبيعة والذي هو أكثر منها يرى تنوع القوانين التي يعيشها البشر في ظلها. إلاَ أن دراسات فولتير في التاريخ تقوده إلى القول بأن ما من أمة تحكمها القوانين الصالحة. وهذا ما يفرق به فولتير عن مؤلف "روح القوانين" "لمونتسكيو"، فجميع هذه القوانين قد أملتها مصلحة المشرع وهي مصلحة وقتية قائمة على الجهل والخرافة[2]. إذن فكرة عما هو عادل أو ظالم مستقل عن جميع القوانين وعن جميع العقود وعن كل ديانة والحقيقة قد يكون عسير أن يقام الحد بين ما هو عادل وما هو ظالم أو بين التفاهم وعدمه[3]. وقد كتب فولتير إلى مركيزة ديفان يقول لها: *"إن تاريخي اليومي أنأ شخصيا هو تاريخ الجنس البشري"*.

إنه كمؤرخ يضع كل ما مضى على محك مذهبه النقدي وينظر التي التطور التاريخي في جملته بحسب نظرة إلى القيمة المطلقة، أن التاريخ في نظره وتاريخ القرون الوسطى والأزمنة الحديثة على الأقل هو كتلة من الظلام تحترقها هنا وهناك بعض أشعة من النور واصل هذا الظلام هو الكنيسة[4]. وأطلق شعاره ضد التعصب الديني المسيحي والكنيسة تحت عنوان: *"لنسحق العار والشار"*. ويضيف قائلا: *"أنه لا يحارب الإيمان وإنما الخرافات*

[1]– وفاء برتيمة، مرجع سابق، ص 512.

[2]– برنار غروتويزن، مصدر سابق، ص 59.

[3]– المصدر نفسه، ص62.

[4]– المصدر نفسه، ص66.

والتعصب الديني كما لا ينبغي أن نعتقد أن عصر التنوير كان مضاد للدين كليا"[1]. كما أن عصر التنوير هو إحساس عميق بالخلق والإبداع ومفعم بالحماس من أجل بناء عالم جديد.

صحيح أن فولتير لم يبدع آراء فلسفية جديدة، ولكنه أسهم بسقط جليل في إشاعة التنوير الفلسفي بالمجتمع الفرنسي وناضل ضد الكنيسة وخرافاتها. كما فضح التعصب الديني، وكان من أهم جوانب نشاطه الفلسفي أن عارض الايمان والمستند إلى "*الوحي المنزل*" بالنزعة الدينية العقلانية. كما رفض الدليل الانطولوجي على وجود الاله، وفي هذا الإطار رفض فولتير كافة التعاليم الدينية الوضعية حول صفات الإله.

كانت قضية الالوهية في عصر فولتير ترتبط بالقضية أخرى ثار جدل كبير حولها هي قضية تبرير الشر الموجود في العالم، كما أنه تأثر بفلسفة لوك المادية وهذا واضح في آرائه النفسية، وفي الفلسفة الطبيعية كان فولتير من أتباع فيزياء نيوتن المخلصين وأكد على تفوق مبدأ الغائية فيا يخص تفسير ترابط الظواهر الطبيعية.

وفي نظرية المعرفة حاول فولتير مزج التجربة الحسية ببعض عناصر العقلانية وهذا لكون أصل المعارف لديه ترجع الى الأحاسيس، المعرفة المطلقة هي المعرفة المنطقية الرياضية. كما أن المعرفة المتعلقة بالأخلاق هي ذات قيمة بالنسبة للإله قيمتها للإنسان. لعب فولتير دور هام في تطوير فلسفة الحضارة وفلسفة التاريخ، خاصة بعد انتقاد باسكال وروسو مع معارضتهما الثقافة والمدنية والطبيعة البشرية فإنسان المتحضر يعيش حياة أكثر انسجاما مع طبيعته[2].

[1]– هاشم صالح، مرجع سابق، ص 147.

[2]– مجموعة الأساتذة السوفيات توفيق سلوم، موجز تاريخ الفلسفة، دار الفارابي، ط1، بيروت، 1989، صص197–198.

ثانيا: مونتسكيو (1689-1755):

1. نشأته وأعماله:

ولد شارل لوي دي سوكوندا أو البارون دي لا بريد ودي المعروف باسم مونتسكيو في 18 يناير 1689 في قصر دي لابريد قرب بوردو، مات ودفن في باريس في 10 فيفري 1755 تنحدر الاسرة من قضاة مدينة بوردو. كان رافقا لإخوته الفقراء وناشئ في تربية بين الفلاحين وتعلم منهم لهجتهم وعاداتهم، درس على يد الإباء الآوراتوريين. من 1700 إلى 1705 درس التاريخ الذي كان به يتبوأ الصدارة، كما درس القانون في بوردو وتخرج محاميا عام 1708، رجع عام 1713 ليحضر موت أبيه وفي 24 فيفري عام 1714 عين مستشارا في محكمة بوردو العليا وفي عام 1716 دخل الاكاديمية بوردو الحديثة التكوين، بعد وفاة عمه الذي اخذ عنه اسمه ورث عنه منصبه كرئيس بقبعة للقضاة في المحكمة العليا وعمره لا يتجاوز السابعة والعشرون[1].

في سنة 1728 تخلى عن منصبه وقام بجولة طويلة زار خلالها النمسا والمجر وإيطاليا وسويسرا هولندا لمدة ثلاث سنوات. كان يقضي معظم وقته في الانشغال بالأبحاث العلمية، مدفوعًا بفضوله للمعرفة، حيث درس الفيزياء والتاريخ والفلسفة الأخلاقية. خلال رحلاته، التقى بالعديد من الأشخاص وتعلم من كل ما هو غريب وعجيب، متنقلًا بين الورش والموانئ والمتاحف، ولم يترك شيئًا من طقوس البلاط الملكي ونظام البارونات. كما كتب عن تقشف روما واستكشف طرق استخراج المعادن في ألمانيا، مما زاد من مخزونه المعرفي بالإضافة إلى مطالعاته المتنوعة[2].

[1]- جورج طرابشي، مرجع سابق، ص 652.

[2]- حامد عبد الحمزة محمد علي الجنابي، فلسفة التاريخ النقدية عند مونتسكيو وأثرها في المنهج البحث التاريخي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، معجم كلية الآداب، قسم الفلسفة جامعة الكوفة، 2014، صص 11-12.

2. الفكر السياسي عند مونتسكيو:

عاش مونتسكيو في فترة نهاية حكم لويس الرابع عشر، التي اتسمت بالاضطهاد الديني والانتكاسات السياسية والعسكرية، وشهد خلالها استياء النبلاء وتذمر الطبقات الشعبية. كما عايش فترة الردة تحت وصاية آل أورليان، حيث تحررت الطبقة العليا من القيود الدينية والأخلاقية، وانتشرت فيها دعوات الزندقة. بالإضافة إلى ذلك، شهد بداية حكم لويس الخامس عشر، الذي حاولت خلاله فرنسا معالجة جراحها واستعادة مكانتها في أوروبا الجديدة، التي برزت فيها قوى ناشئة مثل بروسيا وروسيا[1].

استقر بإنجلترا ومكث فيها لمدة طويلة صادق ساستها وعلماءها وكتابها وانتخب عضو شرف في الجمعية العلمية الملكية. بعد هذه الرجلة طويلة عاد إلى وطنه وانعزل استعدادا لتدوين مؤلفه الرئيسي "روح القوانين"[2]. الذي كان صدوره في نوفمبر 1748، بلا تاريخ وبلا اسم مؤلف وبعد ذلك بعام واحد وبالتحديد في يناير 1750. كان عدد طبعات الكتاب قد بلغ إثنان وعشرين نسخة وقضى الاستقصاء الهائل مؤلفه عشرين عام من العمل. كان مضمونه البرهان على القوانين التي تنظم المجتمعات والغير القابلة لتغيير فالقوانين تعبر عن علاقات الأشياء مع تتبع المناخ ومساحة البلاد كما يدعو في كتابه روح القوانين إلى مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث: التنفيذية والقضائية والتشريعية التي تحفظ الحريات الأساسية.

لقد عرف كتاب روح القوانين نجاحا هائلا. ورد مونتسكيو في عام 1750 في الدفاع عن مؤلفه من هجمات اليسوعيين والجانسينين. وعلى الرغم من جهوده ف الدفاع عن كتابه إلا أنه أدر حكا كتب المحرمة "وادين" من طرف جامعة السوربون في كانون الأول 1751[3].

---

[1]– مونتيسكيو، تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط، عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب 2011، ص5.

[2]– المرجع نفسه، ص7.

[3]– جورج طرابشي، صص. 653-654

إن مونتسكيو خير مثال عما يعرف بعقلية القرن الثامن عشر الأوروبي، كان واسع الاطلاع ومتحرر الفكر جمع بين ذوق أديب وعمق الباحث المدقق وهذه الصفات تتجلى في كل مؤلفاته الأدبية والفلسفية مهما كانت جدية أم هزلية ،كانت الرسائل الفلسفية 1721 التي لم يكن ينتظرها أحد من قضاء أو القراء وكذلك كتاب التأملات في تاريخ الرومان أسباب ونهوض والانهيار 1734، التي لم تكن الأوساط الباريسية تتطلع إليها من مؤلف الكتاب السابق والذي زاد من اعجاب الجمهور كتابه روح القوانين خارج فرنسا، إلاَ أن في وطنه تلقى هجوما لاذعا من طرف الكنسية الكاثوليكية وأدرجته ضمن القائمة السوداء المحظورة على الكاثوليك[1].

كانت نظرية مونتسكيو نظرية مساومة نظرية الحل الوسط في المقام الأول حيث كان يوَد توطيد الحريات البورجوازية لا عن طريق سحق الطبقة السائدة في المجتمع الاقطاعي وإنما عن طريق تفاهم الذي يلحق أقل الاضرار بمصالحها لكن رغم روح المساومة فإن نظرية مونتسكيو عبر أن مرحلة تطور العقلية السياسية البورجوازية الفرنسية[2].

هذا لا يعني أن مونتسكيو لم يؤلف غير هذه الكتب الذائعة الصيت، إذ رحبت به باريس وأخذ يتردد إلى نادي الإنتربول المشهور؛ إذ شارك مناقشاته ودراساته كما تلى على النادي سنة 1722 كتاب "محاورة بين سيلا وأوكرات"، الذي يبين سلوك سيلا السياسي الطاغي وأسباب تنازله عن سلطته كما قام بتأليف مؤلف يدافع به عن مؤلفه روح القوانين تحت اسم الدفاع عن روح الشرائع موجها ضد الكنسية وترك مؤلفا بعنوان" أفكاري" نشر بعد وفاته[3].

---

[1]– مونتسكيو، مصدر سابق، ص7

[2]– جورج طرابشي، مرجع سابق، ص 654.

[3]–حامد عبد الحمزة محمد علي الجنابي، مرجع سابق، صص. 19–20

ثالثا: جان جاك روسو (1712-1778):

1. نشأته:

ولد جان جاك روسو في جنيف في 28 جوان 1712، من أصل فرنسي نزحت لأسباب دينية استقرت اسرته في جنيف عام 1529، أمه سوزان برنار موفورة الحيوية واسعة الثقافة اما ابوه فهو إسحاق روسو، فيبدو أنه كان متهاونا فظا غليظ الطبع[1]. توفيت والدته بعد تسعة أيام من ولادته، تلقى تعليمه الاول من أبيه وغرس فيه الوطنية والجمهورية وقراءة الكتب الكلاسيكية[2]، انتقل إلى عمه في جنيف حيث يستمع بين الدراسة وللعب يتمتع بالحرية الواسعة.

تداولت أسرته شأن مستقبله هل يستطيع أن يصبح ساعاتي أو ينخرط في السلك النيابي أو الكهنوتي حيث عهد إلى احد المحضرين لأن أنه لم تفلح التجربة فأرسل ليتعلم حرفة النقش، كان معلمه دي كوفان رجل فظا غض لسان خشن الخلق شرس الطبع جعل من روسو عبدا ذليلا فقد خلالها الطفل مشاعره الطيبة وانتهى به الأمر إلى التشرد بعد أن كان لا يمانع أن يضربه معلمه، كان محب للمطالعة ويقرأ كل شيء يقع في يده بعد سنوات من الركود[3]، وعندما بلغ السادسة عشر لاذ بالفرار، وكان عليه أن يعيش سنوات من التيه والضياع والبحث اليائس عن العمل قبل أن يبدأ حيته الأدبية، وخلال تلك السنوات التي مرت في حياته البالغة التقلب، غير من دينه والتحق بالمدرسة أكليركية الكاثوليكية وتعلم الموسيقى ودرس وتوظف في أحد المكاتب قبل أن يصبح خادما ببت أحد النبلاء.

---

[1]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، ط1، دار الشروق، بيروت، 1989، ص7.

[2]- هاشم الهلال، مرا محمد الرشودي، جان جاك روسو، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة الحكمة، 2020، ص1.

[3]- نجيب المستكاوي، مرجع سابق، صص. 19-20

2. أفكاره التنويرية:

كان لروسو من الخبرة في الحياة واسعة وطرق باب عالم الأدب ولم تحطمه بل أطعمته من حقد عميق عن العلاقات الاجتماعية القائمة ما جعلته شديد الحساسية المرضية إزاء الجماهير المضطهدة والمستعبدة، ودخل عالم الأدب كممثل طبيعي لهذه الجماهير وكمدافع عن مصالحها ويبحث عن الخلاص من خلال تعزيز العلاقات البورجوازية الصغيرة وتدعيمها[1].

كان من أعماله الشهيرة التي انطلق بها في فلسفته الاجتماعية من أطروحة الحالة الطبيعية هو مقال: *"في أصل اللامساواة بين البشر وفي أسسها"*. وهي السابقة على ظهور قوانين الدولة حيث أعلن في مستهل المقال في اللامساواة أنه يحق لنا أن نشك في أن تكون الحالة الطبيعية قد وجدت فعلا ويقر أن وصفها قد لا يعبر عن حقيقة تاريخية بل يشكل فرضية ضرورية لتوضيح طبيعة الأمور وهذا صريح وواضح بما فيه الكفاية.

إن حل مسألة أصل اللامساواة يقتضي كشرط مسبق على حد التأكيد روسو معرفة الانسان الطبيعي وأكد على الفصل بين ما هو فطري وما هو مصطنع، وإذا لم يتم الكشف عن حقيقة الانسان يستحيل أن نفهم القانون الطبيعي والأسس التي قام عليها المجتمع البشري وتنظيمه وأسباب ظهور اللامساواة[2].

اعتبر روسو الفترة الممتدة بين ركود الحالة الطبيعية ونشوء القوانين والدولة أطول الفترات وأسعدها. كما أكدا في كتابه اللامساواة أن المجتمع الطبيعي بالنسبة إلى الجنس البشري مثل الشيخوخة بالنسبة للفرد فالشعوب. ويحتاج إلى الفنون والقوانين والحكومات لبناء النظام الاجتماعي ينتج عن طبيعة الجنس البشري ويقول في هذا الصدد: *"لقد عاش البشر أحرار وأصحاء وصالحين وسعداء طالما قنعوا بكوخهم البسيط واكتفوا بلبس الجلود ثيابا...*

---

[1]– ف. فولغين، فلسفة الانوار، تر هنريت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت 2006، ص. 2010

[2]– المرجع نفسه، ص. 212.

والريش والأصداف زينة"[1]. كما كانت القوانين في البداية تقتصر على بعض الضوابط والمعايير العامة الملزمة للأفراد[2].

كتب روسو كتاب أخر أوضح فيه عن المجتمع وأراءه عن المجتمع والتربية والطبيعة فصل فيها تاريخ حياته نشأته بحيث تؤكد كل كتبه أنه له صورا من حياته الشخصية فيها حيث تحدث في الكتاب الأول الذي سماه "إميل" يتحدث عن تربية الطفل حتى سن الخامسة وضرورة اهتمام الام بنفسها وأهمية منح الطفل الحرية منذ الولادة وضرورة عدم التعجيل في تعليم الطفل النطق أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فهو يشرح لنا حياة إميل من الخامسة إلى الثانية عشر من عمره[3]. أما في كتابه الثالث فيتحدث عن تربية إميل في دور المراهقة الذي يعمل على التحصيل واعتماد على رغباته وحاجاته الملحة. وأما الكتاب الرابع فقد كان شاملا يدرس فيها أراء الناس ولن يتعلم الدين وان يختار الذي يلائمه[4].

ومن كتبه كتاب *"أصل التفاوت بين الناس"* الذي نشره سنة 1755 مقدما إلى جمهورية جنيف وصرح في هذا الكتاب بأنه: *"لا يفترض وجود الحالة الطبيعية فعلا وإنما يستحسن من الحالة الهمجية متوسطة بين الحال الطبيعية والحال الاجتماعية"*. وقد وجد روسو على سلوكه منهاج التاريخ في أصل التفاوت مع انه لم يحصر روسو على الباس هذا الكتاب ثوب التاريخي، إذ يعد كتاب أصل التفاوت مدخلا لكاب العقد الاجتماعي الذي ظهر 1762، حيث شمل كتاب العقد الاجتماعي الرق وعدم المساواة وناضل عن حقوق الانسان، وقال إن هدف كل نظام اجتماعي وسياسي هو حفظ حقوق الفرد وأن الشعب وحده هو صاحب السيادة وكان روسو هدف في العقد الاجتماع إلى النظام الجمهوري، فتحقق ذلك مع

---

[1]– ف. فولغين، مرجع سابق، ص. 216

[2]– المرجع نفسه، ص219.

[3]– جان جاك روسو، اميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، نظمي لوقا، الشركة العربية لطباعة والنشر، د س ن ، صص7–8.

[4]– المصدر نفسه، ص9.

الثورة الفرنسية واتخذ على أساس أنه انجيل الثورة[1]. ومؤلف "*اعترافات جان جاك روسو*" يعد أول وأضخم عمل أدبي قام به، يعبر عن أدق أحداث حياته خيرا كان شرا.

هذا ما نلتمسه في المواضيع التي اسردها في هذا المؤلف وتناولت الاعترافات حياته حتى سنة 1765. وبدأ في وضعها عندما هاجر إلى إنجلترا، ويذكر أن بعض من كتبه السابقة قد احرقت علنا مثل إميل والعقد اجتماعي وهيلويز الجديدة وتضمنت من الآراء التي أثارت غضب حكومة فرنسا ورجال الكنيسة وما لبث أن أصدر كتاب "خطابات الانجيل" الذي أثار الضجة ما دفعه إلى الرحيل إلى جزرة سان بيير. وقد تحدث روسو في كتابه الاعترافات عن حياته والألم الذي أصابه وأصاب أباه عند وفاة والدته والظلم الذي تعرض له من قبل معلمه. ويعد هذا الكتاب من قصص السيرة الذاتية روسو مليئة بالأحاسيس مع مزجها برحيق الطفولة وأيام الشباب كما انه من الكتب مليئة بالانفعالات.

[1]–جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي لتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص8–9.

الفصل الثالث:

أُثر مفكري التنوير في قيام الثورة الفرنسية

إن التاريخ الفرنسي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر يقدم لنا مثلا كلاسيكيا على النمو وتطور أسلوب الإنتاج الجديد الأسلوب الرأسمالي في أحشاء المجتمع الاقطاعي ضمن اطاره السياسي، إن تعزيز الملكية الاستبدادية المطلقة في فرنسا على امتداد القرنين السابع عشر والثامن عشر قد ساهم في تطوير القوى المنتجة ودفعها إلى الامام، ولكن هذا الازدهار الذي أصاب الحكم المطلق أشاع نوعا من الغمام في حياة "النظام القديم" السياسية. الأمر الذي أصاب الحكم المطلق، الذي زاد حدة التناقضات بين العلاقات البرجوازية الصاعدة التي تشق طريقها بحزم.

انعكس هذا التناقض جليا في حياة المجتمع الفرنسي أعطى أسلوب جديد البرجوازي في الإنتاج والتجارة دفعا قوي لتطوير الرياضيات والعلوم وارتبط إلى حد كبير بنجاحات هذه العلوم مع الأفكار العلمية الجديدة كفيزياء، الميكانيك والطب، بدأت الآراء الفلسفية المادية تشق طريقها إلى الأذهان الناس لكن هذه الموجة الفكرية سرعان ما اصطدمت بالمعارضة القوى الرجعية خصوصا رجال الدين والكنيسة الكاثوليكية التي تقف عائقا أمام النظام الاجتماعي الناشئ.

أخذ الملك وحاشيته يتلاعبون بالدولة بدون حساب ولا رقيب الشيء الذي خلق الطبقية في المجتمع الفرنسي، من رجال الدين والنبلاء الذين يعيشون عالة على المجتمع الفرنسي[1]، خاصة بعد تولي لويس السادس عشر مقاليد الحكم عام 1774م وعمره 19 عاما، ليرث عن جده لويس الخامس عشر الأزمة المالية المثقلة بالديون وهذا بعد أن شاركت فرنسا في حرب سبع سنين التي انتهت بانتصار الحلف (البريطاني) على الحلف الفرنسي[2] ما أدى إلى انفجار الناس من تلقاء أنفسهم وخرجوا إلى الشوارع والى منشآت الوطنية

[1]– صليحة بوزيد، فلسفة عصر التنوير في فرنسا ودورها في تطور الفكر الاستعماري، مجلة القضايا الاجتماعية، ع 15، سبتمبر 2021، ص35–36.

[2]– حسان عمران، الثورة الفرنسية الأولى (1789–1799)، سلسلة التجارب، الإصدار الأول في مسار التاريخ، مجلة الإدراك، ع 1، مارس 2016، ص 5.

ليحتلوها ويعبروا عن سخطهم تجاه الملك وحكومته، إذ ينصرف الذهن عادة عند سماع كلمة الثورة الفرنسية إلى الفظائع وأعمال التخريب والفوضى وسفك الدماء التي صحبت هذا الحادث الجلل وتمهيد الطريق لصوغها في قالب جديد من الحرية والإخاء والمساواة. ولا تعد الثورة الفرنسية حدثا هاما في تاريخ فرنسا فقط وإنما في تاريخ أوروبا كلها. نظرا لما يثبته فيها من مبادئ الحديثة وما خلفته من حروب طويلة والانقلابات السياسية الاجتماعية التي ملأت تاريخ القرن العشرين[1].

عرفت فرنسا سنة 1789 تقدم المعرفة الوضعية وانطلاق فلسفة الأنوار وأسس الأيديولوجية النظام القائم. وكانت طبقة النبلاء تحتل المراتب الأولى في سلم الملكي بينما كانت طبقة الشعبية الكادحة ما تزال عاجزة عن إدراك حقوقها ومدى قوتها. فأحلت فلسفة الأنوار محل المفهوم التقليدي للحياة والمجتمع، كسعادة الاجتماعية القائمة على الاعتقاد بالتقدم اللامتناهي للفكر البشري والمعرفة العلمية، وينبغي الحرية المطلقة في كل الميادين الاقتصادية منها والسياسية، ويرجع هذا القرار للظروف والأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي آل عليها المجتمع الفرنسي[2].

أولا: الحركة الفكرية وتأثيرها على الشعب الفرنسي:

ظهرت في فرنسا خلال القرن الثامن عشر طائفة من الكتاب الذين قوّضوا الدعائم التي كان يقوم عليها –النظام القديم– دعائم الحكم المطلق، وعدم المساواة في أمور المجتمع وعدم التسامح في شؤون الدين، ونظام الحماية في عالم الاقتصاد فأعلن الاقتصاديون أنه لا من سبيل لعلاج الكساد الظاهر في التجارة والإنتاج إلاّ بإتباع سبيل الحرية والقضاء على

[1]– محمد قاسم وحسني حسين، تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى، ط 6، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1347هـ/1929م، ص 1.

[2]– ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، جورج كوسى، ط4، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1989، صص. 13–16.

23 فائق طهبوب، تاريخ العالم الحديث والمعاصر، الشركة العربية المتحدة لتسويق والتوزيع، ط1، مصر، ص.36

القيود الصناعية والتجارية، كما ذهب السياسيون إلى أن نظام الامتياز والحكم المطلق يناقض مبادئ الاخاء الإنساني والقواعد التي قامت عليها الحكومات وهي ضمان الحرية والمساواة، وكان أكبر الكتاب وأعظمهم أثرا: كنساي (1694-1774) أحد أكبر ممثلي جماعة الاقتصاديين حمّل على الضرائب الجمركية والقوانين التعاونية التي تشل حركة الصناعة والزراعة من غير أن تؤدي الغرض المقصود منها، وهو حماية البلاد من المنافسة الخارجية وإرشاد العمال والصناع إلى واجباتهم كما دعا إلى قليل من الحكم وكثير من الحرية وإطلاق القيود حتى تستقيم أمور البلاد[1].

كان من المظاهر السياسية لنشاط الفلاسفة بالأخص فولتير وهي الحرب في سبيل الحرية وحرية العبادة والمساواة التي كانت المعضلة الأكبر خاصة ان اغلبية الفلاسفة لم يعملوا بالمساواة ولم يطالبوا بها[2].

فأعلن الاقتصاديون عن مبدأ الحرية الاقتصادية "*دعه يعمل وأتركه يمر*" والقضاء على القيود الصناعية والتجارية[3]. في الوقت نفسه تولدت عدة إيديولوجيات تمثلت في الثورة الفكرية والتي ينبغي البحث عن أصولها الفكرية في الفلسفة التي هيأت البورجوازية منذ القرن السابع عشر، أين عرض لفلاسفة القرن الثامن عشر مبادئ النظام الجديد وهم ورثة الفكر الديكارتي الذي أظهر إمكانية السيطرة على الطبيعة بواسطة العلم ولقد أثرت الحركة الفلسفية على العقل الفرنسي تأثيرا كبيرا أيقظت الفرد وأنمت روح النقد فيه بتقديمها أفكار جديدة تتعارض مع الكنيسة والدولة المتسلطة في القرن السابع عشر، وقد أقرت مدام لامبر (1647-1733) أن: "*الفلسفة هي إعادة الاعتبار للعقل واستعادة حقوقه، هي إعادة كل شيء إلى مصدره الذاتي وطرح نير الرأي العام والتسلط*"[4]، وقد يكون من المصادفات الغريبة

[1]- حسن الحسيني ومحمد قاسم، مرجع سابق، ص.5

[2]- ألبير سوبول، مرجع سابق، ص60.

[3]-عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 263.

[4]- ألبير سوبول، مرجع سابق، ص، 54.

أن القرن الثامن عشر في أوروبا قد تميز بتيار جارف من الأفكار والمتقدات التي لم تسبق في أوروبا.

ليس غريبا أن يجري على ألسنة المؤرخين والمفكرين ان يوصف بعهد الاستنارة الذي انقشع فيه الظلام. بدأ الفكر الحر يفيق من سباته لينطلق في سائر أنحاء الحياة، إذ لم يكن هذا اللون من ألوان الاستنارة قاصرا على فرنسا وحدها بل انتشر في أوروبا كلها وعلى سبيل المثال ألمانيا، ظهر فريق من أئمة للأدب والفلسفة نجد فيهم "جوته" شيللر و"هردر و"وفيلاند".

كما ظهروا أمثالهم في إنجلترا منهم الفيلسوف "ديفيد هيوم"(1711-1776) "جون لوك" (1632 -1704) صاحب رسالة *في طبيعة التفاهم البشري*" وهو أول من نادى بالفكرة المنطقية في طبيعة الحكم ونظامه، مبدأها ألاَ تقوم حكومة مدنية إلاَ إذا رضي المحكومون، وتسرب مذهبه بوجه خاص إلى فرنسا إلى طائفة التيارات الفكرية[1].

وكان للمفكرين الذين برزوا في المجتمع الفرنسي والمبادئ التي نادوا بها أثر فعال في أن يشعر الفرنسيون بمدى الظلم الواقع عليهم ليثوروا ضد هذه الأوضاع التي رخوا تحت نيرانها سنين عديدة وليس فقط الظلم في حد ذاته هو الدافع فقط لثورة[2]، وكان هذا المعنى الجديد هو الذي عبرت عنه مجموعة الفلاسفة الذين ظهروا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والذين يمثلون أراءهم ونظرياتهم في مجملها هجوما على الحكم المطلق وعلى المؤسسات السياسية والدينية التي تلتفت حول هذا النظام[3].

---

[1]- زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص15

[2]- شوقي جمل، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للمطبوعات القاهرة، ط1، 2000، ص83.

[3]- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، مصر، 1997، ص. 308

إذ لا ينبغي أن يفوتنا أن المفكرين في فرنسا في هذا العهد كانوا أئمة وقوادا لهذه التيارات الفكرية التي تهتف بالدفاع عن حقوق الأفراد وحرياتهم المدنية والدينية، وأبرز ما امتازت به الحركة الفكرية في فرنسا هو الاهتمام الشديد بتغيير الأوضاع المجتمع. فكان لفلسفة "جون لوك" أثرها في الاتجاه نحو التطبيق الفكر الإنساني مع التحرر من القيود الدينية للتخلص من أضغاث العصور الوسطى وإصلاح حالة الفرد بل لم تعد قاصرة على رجال الادب والطبقة الارستقراطية. فقد نزلت بها إلى أفراد الطبقة الوسطى والمتعلمين من شباب الجيل ما ميزها عن حركة النهضة وازدهرا فيها الأدب الفلسفي والإنساني من رسائل وبحوث تاريخية وفلسفية والتربوية والتمثيليات بأنواعها، إذ نشأت بعض الكليات في الأقاليم كما أنشئت جمعيات أدبية ومكتبات وقاعات المطالعة وانتشرت الصحف.

تفردت هذه الحركة عن باقي الحركات التقدمية بأنها إنسانية أكثر حيث نادت بإيقاف التعصب الديني ومنح الفرد حرية العبادة وأرادت لناس أن يكونوا أحرار كما ولدتهم أمهاتهم كان أثرها فعالاً على نفوس العامة. إذ لم تقتصر فقط على فرنسا بل تعدتها إلى سائر الدول الأوروبية. فقدمت بذلك خدمة جليلة للبشرية، حيث لم تكن سبيل سهل المسيرة أمام أولئك الفلاسفة والمفكرين إذ وصفوا بالكفر والإلحاد من بينهم فولتير وروسو، كان التاريخ يكتب على أن المذهب الفلاسفة والمفكرين انتشر وكتب باللغة الفرنسية التي أصبحت لغة الثقافة الأوروبية في أوروبا واستقبلها الناس وأحلوها محل اللغة اللاتينية بكل يسر وسهولة.

كان من السريع وصول تلك الأفكار الجديدة إلى بلاط الملوك والأمراء في كل من برلين وسان بطرسبرج ومدريد. ويعود فضل انتشار هذه الحركات الإصلاحية أنه لم تكن رغبة المفكرين في إقرار الحكم الديمقراطي وإنما كانت الرغبة الحقيقية هي إبراز الحرية وتحصينها من كل عدوان[1]. ومن أبرز الفلاسفة الفرنسيين والذين عملوا على إيقاظ الضمير

[1]– زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص17.

الفرنسي، نجد منهم فولتير ومونتيسكيو وديدور ودالمبير وروسو التي حملت لواء الديمقراطية وعملت على نشرها في سائر الأراضي العالم.

انفجرت الثورة الفرنسية على مبادئ تحررية لها قوة الاغراء وقناعة شديدة مبنية على شعار: *"الحرية، المساواة، والإخاء"*. هذا خلال القرن الثامن عشر أين عملت على هدم النظام القديم الذي كانت تحكمه السلطة المستبدة أو ما يمسي بالنظام القديم لتغير مجرى الأحداث وتكسره وتدخل النظام الجديد القائم على مبادئ حقوق الانسان وهذا بعد الثورة التي أحدثتها سنة 1789، ليصبح بذلك الفرد أو كل فرد من الأفراد الجماعة يتربع على عرش القوة ويصبح هو الحقيقة الأساسية في النظام الجديد.

لقد أحدثت الثورة الفرنسية التي نشبت في 14 جويلية 1789 ثمرة جديدة تمثل في المذهب الفردي للمجتمع السياسي القائم على تمجيد الفرد وتكريس الحرية والمساواة على سلطة الأمة نقيضا بذلك على النظام الملكي المقدس، وبإعتبار أن الثورة الفرنسية وليدة المذهب الفردي (L'individualisme). عرّف الفرد على أنه هو الحقيقة الجوهرية بل المطلقة ما دفعها إلى إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي صادقت عليه الجمعية الوطنية الفرنسية في 26 أوت 1789[1]، ورد في مادته الأولى الإعلان عن: *"الحرية مطلقة لا قيد عليها إلّا القيد الذي يجعل الناس سواسية في التمتع بها"*. وهذا ما عبر عنه خطيب الثورة الفرنسية المشهور "ميرابوا"، الذي يقر أنه: *"لا توجد في نظره حقيقة خارجية، حقيقة مستقلة عن الوعي أو سابقة لتصور، إنما الحقيقة بنت الوعي أنه ما يراه الفرد في داخل وعيه ويعتقد أنه حقيقة"*. وهذا ما نادى به الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك" صاحب *"أسس فلسفة حقوق الإنسان."* أعضاء اللجنة الوطنية أغلبيتهم تلامذة" جان جاك روسو"، الذين يكرسون نظريته حول السيادة العامة. إذ نجد أن هذه النظرية تتجلى عند تلميذه "سييس" عضو في اللجنة

[1]– أنظر ذلك في الملحق رقم: رقم 1

الوطنية. إذ يعرّف الأمة: *"بأنها مطلقة وذات سيادة"*. فنجد بذلك كل من ميرابوا وسييس أهم الشخصيات البارزة اللذان أعلنا عن وثيقة الحقوق الإنسان.

كان لرجال الأقلام والفكر دور في ترسيخ مبادئ ونظم جديدة وكانت أول صفاتهم التشكيك في كل شيء وعدم اليقين ونبذ كل الأنظمة الفساد[1]، التي هيأت أذهان الفرنسيين لإعادة النظر في حياتهم العامة وعلاقة الفرد الفرنسي بحكومته، إلاَ أن هذه المؤلفات لا يدرك قيمتها إلاَ فئة قليلة من المجتمع الفرنسي المثقف الذات الفكر الراقي العميق. وهذا لعدم إدراك العامة المهضومين الحقوق أن يقدروا قيمة التحول من الحكم الأوتوقراطي إلى الحكم البرلماني، إذ تأتي مؤلفات مونتسكيو وانتقادات فولتير ألاذعة للملكية بوربون السابقة على الثورة الفرنسية كل هذه الأحداث دعت إلى ضرورة إعادة النظر في الظروف الداخلية الفرنسية على ان هذه المعيشة لا تليق بالفرد الفرنسي.

وهذه الأحداث لم تكن تعاني منها فقط الملكية الفرنسية وإنما القارة الأوروبية عامة باستثناء إنجلترا.

لكن الفكر التقدمي في فرنسا بلغ ذروته وكان السباق في التأثير على الشعب أصبح مقتنعا تماما بإعادة النظر في أسلوب حياته. كانت فرنسا الأولى في عالم التقدم الفكري في اتجاه الإنساني الواضح وأثره الكبير في رفع مكانه الفرد الفرنسي كإنسان، ونراه يتجلى في معاني التي أوردها فولتير في شعره يخاطب مشاعر الفرنسيين مباشرة في ثوب انساني راقي بعدما كان لاجئا لدي صديقه الملك فريديريك الأكبر ملك بروسيا وهي واحدة من الأقطاب الملكية المستبدة المستنيرة، ينتقد بها الملكية آل بوربون ويدعوهم إلى إعادة النظر في أسلوب الذي تحكم به كما كان شديد الانتقاد اللاذع للكنسية ولرجال الدين وحث الفرد الفرنسي في إعادة النظر في المؤسسات التي تحكمه وعليه أن يحي حياة طبيعية مادام كان يخاطب الشعب بالإنسانية وهو كان روح العصر حينئذ[2].

[1]– حسن جلال، المرجع السابق، صص 51–53.

[2]– عبد الفتاح أبو علية، مرجع سابق، ص240–241.

ثانيا: دور فولتير في قيام الثورة الفرنسية:

من أشهر كتاب القرن الثامن عشر[1]، ذو الهيبة التي يرهبها كل ذي سلطان في زمنه نشأ في أواخر أيام الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، إذ لفت نظره سلطة الرجال الكنيسة وتعصبهم لمذهبهم إلى حد التعذيب كل من يجرؤ على اعتناق أي نذهب آخر فسخر من هذه العظمة المزيفة التي تقوم على القهر واستهزأ بأصحابها وجعل دأبه ومناهض ضد هذا السلطان الجائر الغشيم المستبد[2]. كان هجومه لاذعا على الكنيسة ومرا أنكر فيه تدخلها في السياسة وانصرافها على المسائل الروحية وتعسفها في مطالبة رعاياها بالطاعة العمياء.

هاجم السياسة التعصب وعدم احترام مبدأ التسامح الديني إذ أشار إلى الاضطهاد الذي تعرضت له البروتستانتية في فرنسا، وأن دل على شيء فإنه يدل على دفاعه على الإنسانية وهي صفة التي اتصفت به الحركة الفكرية في القرن الثامن عشر، حيث لم يكن فولتير مهتما بالسياسة قط بل كان يكره الظلم وتعسف في حكم الشعوب وبما أنه كان انساني لا تهمه الشعارات والمبادئ، كان يوجعه ظلم الانسان لأخيه الانسان، بينما كان يؤيد الحكم الملكي فقد كان الصديق المقرب لفريدريك الثاني.

نادى فولتير بإصلاح القضاء عن طريق توحيد القانون في سائر أنحاء فرنسا وتطبيقه بطريقة عادلة وواضحة على الجميع كما طالب بإصلاح نظام الضرائب وإلغاء المحلية منها التي تعيق التسيير الحيوي لنظام[3].

وفي عام 1765 رأى فولتير أن الفيلسوف الحقيقي هو الذي ينقب الحقول البائرة ويزيد عدد المحاريث وبالتالي عدد السكان، ويعمل على تشغيل الفقراء لزيادة غناهم ويشجع الزواج ويساند الايتام ولا يشكو أبدا من الضرائب الضرورية بحيث لا ينتظر من الناس شيئا

[1]– شوقي جمل، مرجع سابق، ص 53.

[2]– حسن جلال، مرجع سابق، ص 54.

[3]– زينب عصمت راشد، مرجع نفسه، صص 18– 19.

ويفعل كل الخير لهم. إذ استطاع فعله كانت هذه نظرة فولتير للفيلسوف الحقيقي الذي يساهم في بناء دولته بالأسس الصحيحة. كما يجب على العلم أن تعلم الانسان ما هو خير وعادل ومعرفة، جميل أن تفتح الافاق الجديدة هذه هي نظرة الثورة الفرنسية في مطلع تأثرها بالأفكار التنويرية للفلاسفة[1]، تتفق الثورة الفرنسية مع فولتير في انكار كل ما كان وكل ما هو كائن حتى الآن، ويتساءل عمن يجب أن يحكم عمن يجب أن يسن القوانين في النظام الاجتماعي الجديد وهو سؤال مشابه الذي طرحه مونتسكيو.

وقد قام بقواعد وتقديم النصائح إلاَ أن فولتير يرى أن الناس مجردين من الأوهام الناس مستنيرين وينبغي أن يسعوا لتدخل في التشريع، وأن يمارسوا نفوذهم لدى القائمين على حكم الشعوب. كما فعل كل من فريدريك الكبير وكاترين الثانية في اتباعهم مبادئ عصر التنوير[2]. كانت فئة قليلة من الفلاسفة يسعون إلى تنوير الرأي العام في جميع المجلات وفي أوروبا.

هذه هي نظرة التي سادت حتى مطلع الثورة الفرنسية، أما اثناء الثورة فالمسألة طرحت بشكل أخر بحيث يقتضي طبيعة السلطة التشريعية[3]، قام فولتير بتهيئة موقف نقدي لرجال الثورة الفرنسية حيث علم الجميع كيف يفكرون وألا يخضعون لأي أحد وأن لا يجعلوا أحدا يظلمهم وكان يرى أن الطبقة الثلاثة مثلا هم الفلاحون في الحقول الصناع في المصانع والعلماء في مكاتبهم وبدلا يمكن ان نقول لأمة هي ثلاث طبقات بل الطبقة الثالثة.

كانت هي التي تألف الامة بأكملها خاصة انها تضم 25 مليون نسمة من الشعب الفرنسي وبدأ فولتير يؤثر فيهم في كيفية اتخاذ قرار وموقف نقذي تجاه التقاليد القديمة ولجوء إلى حمل السلاح الهدم وهو الجدل، وعلمهم كيف يجب أن يتصرفوا تجاه المعطيات المجردة

---

[1]– عوض بالقاسم علي يونس، دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية، مجلة البحث العلمي للآداب، ع 17، ج1، ص5.

[2]– برنار غروتويزين، مرجع سابق، ص. 90.

[3]– نفسه، ص. 91

كما عمل على الاستقلال الفكري لكل انسان، والثورة يجب ان نقف بها في وجه الجهل لسيطرة عليه.

إن الأفكار الكبرى التي اخذتها الثورة هي العدالة والمساواة والإخاء وان حرية كل فرد في أن يفكر في نفسه وأن يعبر عن فكره وهي الحرية التي اتخذتها الثورة الفرنسية شعارا وهذه هي أنوار العصر لكي تبلغ أهدافها في اسعاد البشر بعدا أن جعل فولتير كل فرد شاعرا باستقلاله العقلي وكل فرد يملك في ذاته قيمة وفكرا خالصا هو العقل[1]. بعد نزول فولتير بإنجلترا تأثر بالحكم الإنجليزي الذي انعكس على أفكاره وكتاباته خاصة فترة نفيه إلى إنجلترا، لقد كتب فولتير عن حرية التي عند الانجليز. وكان يقول: *أن الرجل الإنجليزي يذهب إلى الجنة من الطريق الذي اختاره بمحض ارادته. أما بالنسبة للحرية السياسية فيري فيها ان الانجليز هو الذي يستطيع ان يحجم سلكة الملوك فالحكام لا يحمون إلا بالخير*"[2].

وكان فولتير يقر الحرية في جميع الميادين من الحريات الفردية إلى الحرية الاقتصادية[3]. وكان فولتير يلاحظ كل شيء وينقد كل شيء نقد القاضي هذا النقد الذي يتحول بشكل متزايد إلى ثورة غضب وقد كتب يقول: *إن الحماسة المعقولة هي نصيب الشعراء الكبار. . .* "[4].

ويري أنه قلما يهمنا ان تكون الاستنارة في فلاحينا وعمالنا اليدويين، كتب إلى داميلافيل يقول له: *إنه يحسن بالشعب أن يقاد لا أن يكون متعلما فهو غير جدير بذلك وكل ما يكاد يحتاج اليه هو أربعون ألف من الحكماء* "[5].

---

[1]– عوض بلقاسم علي يونس، المرجع السابق، صص. 6–7

[2]– المرجع نفسه، ص. 8

[3]– ألبير سوبول، المرجع السابق، ص. 58

[4]– فلسفة الثورة الفرنسية، المرجع السابق، ص. 67.

[5]– برنار غروتويزن، المرجع السابق، صص. 91–92.

كما يرى أن منذ تأسيس الكنسية المسيحية انتشرت الفوضى وعمت الكوارث والجرائم تتزايد المذابح ونفس المآسي تتكرر لتقف على الفلاسفة أن يتحدوا ضد الكنيسة بأفكارها الظلامية تعمل للآلاف الأقلام وتعلوا أصوات، أن الذين يحولون وضعهم الاجتماعي دون أن ينتفع بمواهبه الفكرية كثيرون ولكي ننصفهم يجب اعطاء قيمة لكل انسان كانسان، إذا وجب تثقيفه ويشترك فولتير وروسو من حيث تأثيريهما في الثورة الفرنسية في وجهة نظر واحدة تتمثل في أنهم يرون أن الانسان يحمل في ذاته كل ما يحتاجه إليه في حياته وبهذا كان لرأيهما تأثير كبير في الثورة الفرنسية بما انهم أناس مستنيرين وهم فلاسفة كان لأثرهم وضوحا بارزت، ونجد فولتير ينشر من أفكاره الاستبدادية المستنيرة التي تلخص أفكاره في :

- أنه يعتبر ان التصور السياسي في إطار نظرية الحكم تصورا محافظا.
- كما يرفض بقاء السلطة في يد النبلاء والاكليروس.
- العمل على مساندة الفئة البورجوزية والتجارية منها على وجه الخصوص.
- كما عمل على الفصل بين السلطات ورفض النظام البرلماني[1].

لكن هذا السيد الكبير أمير الفكر لم يصل إلى هذه القيمة الأخيرة إلى اعتبارها واحدة لدى جميع الناس وسيخلق منهم من مخلوقات تعمل بفكرها تلك الارستقراطية العقل التي تتوخى أن تبسط سلطانها إلى أبعد مدى وتنشر انوار العصر وتسعى لإسعاد البشر وتحرر الفرد من قيوده الفكرية والتي تعد لها الثورة الفرنسية والتي ستعمل على تحقيق الحرية والمساواة [2].

وكان فولتير يقول في مؤلفاته ويتمنى وجود حكومة قوية مستنيرة خاضعة للقوانين تعمل لصالح الشعب الفرنسي وعدل بين الرعية في الضرائب والقضاء والتجارة واحترام الحرية الشخصية وحرية الرأي وكانت هذه اهم الإصلاحات التي ستعمل الثورة على تحقيقها

[1]– عوض بالقاسم على يونس، المرجع السابق، ص9.

[2]– برنار غروتويزن، مرجع نفسه، ص92

وفي قوله: *"أن الحرية في الرجل صحة النفس"*، نال فولتير احترام الناس ومحبة اشعب بعد اكتساحه شهرة واسعة على انه من اكبر العاملين على تكوين الرأي العام الذي نصب نفسه مثالا صالحا لشجاعة والإقدام والانتصار للحق وكان ينشر كتبه وآرائه رغم الرقابة الشديدة وكان قد توقع حدوث الثورة منذ سنة 1764 قائلا: *"إن كل ما أراه يرمي بذر الثورة آتية لا ريب فيها فلقد انتشرت آراء الحديثة بحيث تؤدي إلى الانفجار في أول فرصة"*[1].

[1]– محمد صبري، الثورة فرنسية ونابوليون، مرجع سابق، ص37

ثالثا: إسهامات مونتسكيو في قيام الثورة الفرنسية:

من طائفة النبلاء يعد من فلاسفة القرن الثامن عشر وأشهر الكتاب الذين انتقدوا القيود التي تفرضها الكنيسة على حرية التفكير ساخرا من الادعاءات رجال الدين على أنهم لهم القدرة على عمل المعجزات، نادى بمبدأ التسامح الديني، بعدما زار إنجلترا أعجب بالنظام الملكي المقيد بها[1].

حارب من خلال كتابه "روح القوانين" محاولات الإصلاح حاول أن يثبت أن الدساتير السياسية ترتبط وفقا لثوابت الطبيعية الحقيقية بظروف الإقليم والتربة ونوع الحياة وطبائع الشعوب وأخلاقها ودينها فاتخذ ذلك حجة للقول بأنه لا يجوز مس الدستور الفرنسي[2]. جمع فيه تاريخ أنظمة الحكومات وأنواعها وإقراره بوجوب فصل بين السلطات الحكومة الثلاث: التشريعية، التنفيذية والقضائية لضمان العدل والحرية[3].

يري أن القوانين حصيلة مسيرة تاريخية ترجع إلى المشرع كما أحيانا ترجع إلى ايحاءات الشعوب والإدارة العامة للجماعة هي التي يجب أن تسن القانون والكل هو الذي يشرع لنفسه. لقد أدى أثناء الثورة الفرنسية إلى الاقتناع بأن هذه الجماعة هي التي يجب ان تقرر بمطلق سيادتها التدابير المتخذة بشأن قضيتها. كان تأثيره عظيما في مطلع الثورة وأواخرها.

كان يريد حرية المواطنين في جملة من الأهداف التي يمكن للجماعة أن تؤلفها في الدولة، ويقر أنه يجب الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية، وألا تجتمع في يد واحدة وهذا الهدف الذي لا كان نسبيا لدى مونتسكيو أصبح مطلقا بل قاعدة ويقر أن الحرية حق طبيعي يجب أن تكون هي غرض الدولة بل قاعدة[4].

---

[1]– شوقي جمل، عبد الرزاق، مرجع سابق، ص 83.

[2]– صليحة بوزيد، فلسفة عصر التنوير في فرنسا ودورها في تطور الفكر الاستعماري، مجلة قضايا تاريخية، بوزريعة الجزائر، ع 15، سبتمبر 2013، ص.39.

[3]– حسن حسيني، مرجع سابق، ص 5.

[4]– برنارغروتويزن، عيسى عصفور، فلسفة الثورة الفرنسية، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1982، ص 55–56.

ففي عام 1748 كتب كتاب سماه "روح القوانين"، وهو بحث عام وشامل في أشكال الحكومة الذي ناقش فيه النظريات السياسية السائدة في عصره، صار هذا الكتاب المعين الذي يتزود به السياسيون الأفكار خاصة الذين القيت عليهم مهمة البناء السياسي لبلادهم حيث تأثر به الدستور الولايات المتحدة الامريكية إلى حد البعيد[1]، إذ جمع في كتابه روح القوانين تاريخ الأنظمة الحكومات وأنواعها ومساوئ كل منها ومحاسنه وضمن نظريته المشهورة مبدأ الفصل بين السلطات الحكومة الثلاثة التشريعية التنفيذية والقضائية عن بعضها البعض انفصالا تاما لضمنا الحرية والعدل ونصح بالاشتراك الملكية والارستقراطية والعامة في حكم البلاد على مثال نظام الحكم الإنجليزي الذي كان يعتبره أرقى نظام الحكومات[2].

كان شديد الاعجاب بالاتجاه الإنجليزي الذي كان يقوم على مبدأ الحرية السياسية وإنكار الاستبداد والطغيان وهذا بعد تعمقه واتصاله بجميع الأوساط المجتمع وعادا محملا ومليئا بالأفكار وأراء التحررية التي قام بنشرها في كتابه "*عظمة وسقوط روما عام 1734*"[3].

إن مونتسكيو شأنه شأن رجال عصره معجب بتنوع الصور التي تتخذها حياة البشر حيث قال: *أن روحنا قد خلقت لتفكر أي لتدرك*" و *أن الفكرة تغدوا عظيمة عادة عندما يذكر أحد شيئا يكشف لأنظارنا عددا كبيرا من الأشياء الأخرى، أن الفكر الفلسفي يقوم فعلا على التمييز بين الأشياء ومعرفة تلونها* "[4].

تتابعت بعد سنة 1743 أعظم مؤلفات في القرن الثامن عشر من "*روح الشرائع*" إلى "إميل" لمونتسكيو إلى "العقد الاجتماعي" لروسو 1756، مرورا "بالتاريخ الطبيعي" لبوفون. بعد ظهور المجلد الأول سنة 1749. كما رأت ظهور المجلد الأول من الانسكلوبيديا بإدارة

[1]– شوقي جمل، مرجع سابق، ص83.

[2]– محمد قاسم وحسني حسين، مرجع سابق، ص5.

[3]– عوض بالقاسم علي يونس، مرجع سابق، ص 10.

[4]– برنار غوتوزرين، مرجع سابق، ص 41.

ديدرو والعديد من الفلاسفة التي ظهرت في هذا القرن مع الفروق التي تحملها، وتطور تياران الفكريان الكبيران في نصف الأول من القرن الثامن عشر أحمدهم من الوحي الاقطاعي يمثله جزئيا روح الشرائع لمونتسكيو، يستمد أصحاب الامتيازات والمجالس مبرراتهم ضد الاستبداد والأخر فلسفي معاد للاكليروس وأحيانا لدين ومحافظ في السياسة.

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت أفكار جديدة أكثر ديمقراطية ومساواة في استمرار التيارين[1]. ويرى مونتسكيو أن كل شكل من اشكال الحكم يقتضي أسلوبا للحياة خاصا به وروحا يجب أن تهيمن على انشاء جميع المنظمات الجماعية وأن مبدأ الديمقراطية هو الفضيلة ومبدأ الملكية هو الشرف ومبدأ الاستبداد هو الخوف. وأن تتوحد هذه الجماعة في روح واحدة وأن يساهم الجميع في تكوينها، بحيث تتلاءم مع شكل معين من اشكال الحكم[2]. ولضمان الحرية السياسية التي يراها مونتسيكو وهي مبدأ الفصل بين السلطات وهذا ما تبناه الإعلان الفرنسي لحقوق الانسان سنة 1789 وأن المادة التي نصت عليه هي المادة 16: مفادها *أن كل جماعة سياسية لا تتبنى مبدأ فصل السلطات لا يمكن أن توفر الضمانات الأساسية للحقوق والحريات ومن ثم فهي جماعة لا دستورية، وهكذا استمر هذا التقسيم إلى يومنا هذا*"[3].

إن مونتسكيو يفهم عالم الانسان على أنه عدد من الجماعات وأن لكل فرد علاقة معينة بجماعة فحياته ومصيره واتجاهه الفكري تابع إلى حد كبير للجماعة التي ينتمي إليها فهو يعيش معها حتى أنه يموت في سبيلها في الوقت المناسب. وبهذا ينصب علامات طريق. لما يمكن أن نسميه بالحس المدني ويبرز قيمة الجماعة ويجعلها مركزا لمشاعر الأفراد الذين تتألف منهم ومركزا على أفكارهم[4].

---

[1]– ألبير سوبول، مرجع سابق، ص55.

[2]–برنار غروتويزن، مرجع سابق، ص43.

[3]– عوض بالقاسم على يونس، ص12.

[4]– برنار غروتوين، المرجع السابق، ص54.

لكن الثورة الفرنسية تتجاوز مونتسكيو في هذه الناحية فتسأل ما هي السلطة التي تسن القوانين؟ يرى أن القوانين حصيلة مسيرة تاريخية ترجع أحيانا إلى المشرع أو حكيم وأحيانا إلى ايحاءات شعب مجاور. فأحيانا يكون المشرع هو مجلس الشيوخ وتارة مجلس النواب أو الشعب بأكمله حسب أسلوب المبين في الدستور. أما الثورة الفرنسية فعلى العكس لا تتصور أن القانون يمكن ان يكون من صنع فرد أو مجموعة أفراد فالفرد بطبيعته لا يكون إلا مستبدا محدود الفكر تسيره الدوافع الشخصية، فالإدارة العامة للجماعة هي التي تسن القانون.

منح مونتسيكو العقل الحر القدرة على وضع القوانين وتحديد مصير الأجيال القادمة. هذا الإيمان بسلطة العقل، خلال الثورة الفرنسية، أدى إلى اقتناع بأن الجماعة هي التي تحدد، بسلطتها المطلقة، التدابير المتخذة بشأن قضاياها. في الواقع، اعتبر مونتسيكو أن القوانين تعكس مظاهر العقل البشري المطبق على الواقع الحي، الذي يتأثر بمختلف المعطيات التي تتناسب[1].

كان لتأثير مونتسكيو تأثيرا عظيما في مطلع الثورة وفي أواخرها، فهو يريد الحرية للمواطنين في جملة من الأهداف القيمة النسبية التي للجماعة أن تؤلفها الدولة وأن تمنحها لنفسها وعلى سبيل المثال ما أرادته إنجلترا لنفسها ويضيف، "لا تجتمع السلطتان التشريعية والتنفيذية في يد واحدة"، وكان الهدف الذي لم يكن إلاَ نسبيا لدى مونتسكيو قد أصبح أثناء الثورة الفرنسية هدفا مطلقا بل قاعدة.

الحرية حق طبيعي يجب أن تكون هي غرض الدولة ومونتسكيو عمل على إيجاد وسائل أخرى لتحقيق الحرية والآن حق القول على أن نقول إن أحرار فهذا حق لنا.

ويظل مونتسكيو هو الفنان الذي يعلمهم كيف يحققون أهدافا معينة والمهندس الذي يوضح لهم بنية المجتمع النظامية وقواعد الفن الاجتماعي والتشريعي[2].

---

[1]– نفسه، ص55.

[2]– نفسه، ص57.

ثالثا: فلسفة روسو وإيديولوجية الثورة الفرنسية:

إن جان جاك روسو يعد من ألمع مفكري عالم الأحرار في القرن الثامن عشر، الذين مهدوا بطريقة إيجابية لقيام ثورتي أمريكا وفرنسا. وكان لروسو نهج غير نهج مونتسكيو وفولتير اللذان اقتصر على مهاجمة النظم القائمة والمطالبة بتجديد السلطة المطلقة[1].

صاحب الكتاب "العقد الاجتماعي" الذي أخرجه عام 1762، كان بمثابة الانجيل الجديد للفرنسيين والثورة الفرنسية[2]، لإيجازه وفصاحته بل كان له في الناس فعل تأثير يقول: *"ولد الانسان حرا ولكنه صفد بالأغلال في كل مكان"*.

كان له أثر في إشعال الثورة الفرنسية وإثارة الشعب الفرنسي بالأفكار التنويرية. وقد تجاوزت عظمته فرنسا إلى العالم اجمع من خلال كتاباته وأفكاره وكذلك تأثيره أين كان ضد تيار العصر نجده ينتقد حضارة عصره وقام بدفاع عن الفقراء والمحرومين. وخلال نظريته العقد الاجتماعي سيادة الشعب من خلال الإرادة العامة فإن روسو يحرر المساكين ويعطي الحكم للجميع إلاَ وهو الشعب وما ينطوي عليه الاستبداد ما ينتج عنه يوطد التوازن الاجتماعي والمساواة كانت بالنسبة إليه شيء جديد في القرن الثامن عشر[3]. من هنا ندرك كيف استطاع روسو أن يلهم الرومانتيكيين وأن يرتفع إلى الأوج لدى شعب الثورة.

"روسو" عمل على إعادة صياغة نظام الحكم والحكومة مع المجتمع في قالب جديد وفي كتابه "العقد الاجتماعي" يقول: *أن الانسان خلق حرا ومساويا لغيره في الحقوق ولضمان هذه الحرية والمساواة انضم الأفراد وأقاموا الحكومات لتعمل بإرادتهم مستمدة السلطة منهم، وكان لهذا الكتاب تأثير كبير وخطير في نفوس الفرنسيين حتى لقب بإنجيل الثورة لتأثيره على العواطف الفرد الفرنسي لمتانة الحجة وقوتها مع سلاسة الأسلوب الاقناع"*[4].

---

[1]–عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص. 266.

[2]– هربرت فيشر، المرجع السابق، ص. 344

[3]– عوض بالقاسم علي يونس، المرجع السابق، ص. 15.

[4]– حسن حسيني، المرجع السابق، ص.6.

ولنفهم الأثر الثوري الذي أحدثه روسو يجب أن ننطلق من الضيق الذي كان يشعر به في أوساط باريس الأدبية، بحيث أن جميع مفكري العصر الأخرين ينتمون بشكل ما إلى المجتمع يحترمون حياته الفكرية ويشعرون انهم متضامنون فيما يتعلق بنطاق ثقافته إلاَ انهم أصبحوا غرباء في نظر رجال الثورة الفرنسية[1].

كان الشعب على حق إلى حد ما، بينما كان يشعر روسو بالضيق في المنتديات فإن ذلك لم يكن ناجما عن أنه من ديمقراطيين وأنه كان ينتمي إلى الشعب، ومع هذا فهو مدين في تكوينه الفكري للأدب الفرنسي والتطور الذي سار عليه الفكر الفرنسي. فقد كان فرنسي الثقافة رغم الضيق الذي كان يشعر به في المجتمع. إن روسو يقدم بنظرياته وبشخصيته إمكانية خلق معارضة مبدئية لكل الماضي. وهذا الشعور نابغا من منبته إلى الطبقة الاجتماعية أخرى وبخضوعه إلى قوانين أخلاقية أخرى[2].

استمرت النزعتان الروحيتان الكبيرتان للقرن الثامن عشر الممثلتان بروسو وفولتير في التأثير جنبا إلى جنب اثناء الثورة الفرنسية، اللتان عملتا على أبرز قيمة الانسان على وجه الخصوص وكلتاها هيأت فكرة التي ستكونها الثورة عن الانسان بحسب المفهوم الديمقراطي المنحدر من فلسفة عصر التنوير هذا النهج الفكري يستمر إلى جانب نهج روسو، وكان لفولتير وروسو تأثير في الثورة الفرنسية يشتركان في وجهة نظر تتمثل في أن كل فرد يحمل في ذاته ما يحتاج إليه للحياة والإنسان وقيمة الفلسفة في نظرهم تكمن في علاقتها بما هو انساني ومدى إمكان التأثير في مجرى حياة الناس[3].

كان لكتاب العقد الاجتماعي، أثار قوية في مجتمع يتهيأ للثورة فقد زاده تهيئا لها حتى اشتعلت نيرانها فيما بعد وقد بدا أثره في أولى ثمار الثورة الفرنسية، عندما أعلنت حقوق الانسان فقد كان يكرر دائما أن الهدف الدولة الأساسي هو حماية حقوق الانسان. وأن من

[1]– برنار برغوتزين، المرجع السابق، ص. 114.

[2]– نفسه، ص115.

[3]– برنار غروتويزن، المرجع السابق، صص. 125-126

يتنازل أو يفرط في حق من حقوقه فقد فرط في مقومات شخصيته، كما ظهر أثره أيضا في إلغاء الامتيازات التي استندت عليها الملكية كحق الفتح أو الحق الإلهي وقد بدأ روسو كتابه العقد الاجتماعي بدعوة إلى الثورة فقال: *"أن الانسان ولد حرا لكنه مكبل بالأغلال في كل مكان وتبع ذلك أنه كان من الضروري تحطيم هذه الاغلال حتى يعيش في المجتمع حرا"*[1].

نما فترة ما قبل الثورة شعور المعارضة للأوضاع الاجتماعي القائم الذي كان يعتبر منافيا للعقل ومضادا للطبيعة وشعور جديد لدى الفرد بقيمة الإنسانية وشعور جديد بقيمة الانسان يعزز من الاندفاع العاطفي نحو الشعب[2]. وهذا بعد هجوم روسو على الديانة المسيحية هجوما شرسا حيث دعا إلى الدين المدني الذي يتكون من عقائده البسيطة تقتصر على الإيمان بوجود إله حكيم وحياة أخرى. كما دعا إلى الإيمان بالقوانين والتسامح وعدم التعصب وهذا انعكس جليا على أفكار رجال الثورة الفرنسية[3].

إن الأثر الذي أحدثه في تصوره للإنسان عن طريق فلسفة الفورة الفرنسية أن النفس قائمة بذاتها منفصلة عن كل البشر وهذا ما تبنته الثورة الفرنسية 1789 من نظرية روسو: *"فلا يمكن للإنسان أن يتنازل عن حريته لأن هذا حق لا يسمح بالتنازل عليه كما أنه للفرد حرية المدنية والعقائدية التي تقوم على احترام القوانين، فإن شعار الحرية هو هدف الثورة الفرنسية وأن للإنسان أن يعيش حرا دون قيود"*. وكانت الثورة الفرنسية تستوحي فكرة ثورتها وحكومتها من عقد الاجتماعي لروسو، أين اعتمدت نقد الاستبداد بجميع أشكاله. كما عملت على منع الامتيازات لفئة من فئات المجتمع ودعت إلى التسامح الديني وعمل على المساواة والإخاء والحرية، إضافة إلى ذلك عملت بمبدأ فصل بين السلطات وجعل السلطة التشريعية في يد الشعب وذلك للحفاظ على الحريات[4].

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص268.

[2]– برنار غروتويزن، المرجع السابق، ص130.

[3]– نفسه، ص 134.

[4] عوض بالقاسم علي يونس، المرجع السابق، ص 17.

الثورة الفرنسية أتت بعد عصر التنوير الذي أتى لإنارة عقول البشرية والخروج من العبودية التي فرضتها الكنيسة والنظام القديم وهذا بفضل فلاسفة التنوير كفولتير وروسو ومونتسكيو.

وكانت المبادئ التي نادت بها الثورة ذات مصداقية ويقول" توكفيل: "*هو الذي جعلهم متفردين فالذي جعلهم هكذا هو المبدأ أنه العقل*"، كما عرف "ديدرو"[1] الموسوعة أنها أداة "*عصر الاستدلال*" أو "*عصر الفلسفي*"، وعمل ديدرو على كتابة بعض المواد عن الضمير والتعصب والتسامح وعدم التسامح. وكان فولتير من مناصري الدين الطبيعي وكان مؤهلا طبيعيا خلافا لبعض زملائه مثل هولباخ، إذ كان يشمئز من المسيحية بل وحتى اشمئزازه من اليهودية. وكانت انتقاداته الساخرة والعنيفة لليهودية ونفس الشعور أيضا يكنه للمسيحية في قوله: *أن اليهود استحقوا الطرد من اسبانيا؛ لأنهم سيطروا وتحكموا في المال والتجارة. ولا يزالون يتطلعون إلى ذلك، جاعلين الربا واجبهم المقدس*"[2].

2 **ديدرو**: بدأ حياته العلمية بالترجمة عن الإنجليزية وكان مما ترجمه عن كتاب شفتسبري" محاولة في استحقاق والفضيلة " ونشر خواطر فلسفية أعرب فيها عن أراء مخالفة للدين فحبس بسببها ستة أشهر 1749 ونشر كتبا أخرى فيها من المذهب الطبيعي، ترجم عن الموسوعة في الفنون والعلوم التي طهرت بإنجلترا 1746 واخذ يصدر في الموسوعة مع صديقه العالم الرياضي دالامبير عضو أكاديمية العلوم وأصبحت الموسوعة بؤرة الزندقة والالحاد بعد ان نشر فيها ديدرو مقالات عديدة حملت الة القراء أفكار كثيرة في جميع العلوم لكنها أفكار فطرية خلع عليا أسلوبه شيئا من القوة الظاهرة .

[2]– غيرترود هيملفارب، تر، محمود سيد أحمد، الطرق إلى الحداثة التنوير البريطاني التنوير الفرنسي والتنوير الأمريكي سلسة كتب الثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، سبتمبر 2009، ص 158–165.

خـاتـمـة

استنادًا إلى ما تم الوصول إليه في هذه الدراسة، يمكننا أن نستنتج أن الفكر السياسي الذي قدمه كل من فولتير ومونتسكيو وجون جاك روسو جعلهم من أبرز فلاسفة عصر التنوير. فقد ناهضت كتاباتهم الانتهاكات التي تتعرض لها حقوق الإنسان، وخاصة حرية الفرد، ودعت إلى إقامة مجتمع ديمقراطي يحقق المساواة ويقضي على الأنظمة الفاسدة من خلال الفصل بين السلطات.

لقد كان لهذه الأفكار التنويرية التي رسخها فولتير ومونتسكيو وروسو دورٌ فعال في قيام الثورة الفرنسية، حيث رسمت طريقًا جديدًا للبشرية من خلال نقدها الصريح للدين والحكم المطلق الذي كان سائدًا في أوروبا. كما انتقدت النظام الطبقي الذي كان قائمًا في المملكة الفرنسية، حيث كان عامة الشعب ينتمون إلى الطبقة الثالثة المضطهدة. هذه الظروف الصعبة التي عانى منها الشعب الفرنسي كانت سببًا في اندلاع ثورة دموية في عام 1789 مما أدى إلى بناء فرنسا جديدة قائمة على مبادئ *"الحرية، المساواة، الأخوة"*. ولأول مرة في تاريخ البشرية، تحول الإنسان من "إنسان" إلى "مواطن" يمتلك حقوقه الطبيعية والمدنية (المواطنة)، وجاء ذلك في شكل وثيقة تاريخية تُعرف بـ *"وثيقة حقوق الإنسان والمواطن"* المستوحاة من فلسفة التنوير.

وهنا نستعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة:

- قامت الثورة الفرنسية باستبدال النظام الملكي المطلق بنظام جمهوري، بميلاد الجمهورية الفرنسية الأولى.
- أقرت مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية.
- عملت على تعزيز التسامح الديني ونشر قيم الانسانية النبيلة، وهي المبادئ التي دافع عنها الفلاسفة ونادوا بها.
- تم إلغاء الامتيازات الممنوحة لرجال الدين والنبلاء والحقوق الإقطاعية، وتمت الدعوة إلى العدالة الاجتماعية.

الملاحق

الملحق رقم 01: وثيقة حقوق الانسان والمواطن 1789:

Déclaration des Droits de l'Homme et du Citoyen de 1789[1]

Les Représentants du Peuple Français, constitués en Assemblée Nationale, considérant que l'ignorance, l'oubli ou le mépris des droits de l'homme sont les seules causes des malheurs publics et de la corruption des gouvernements, ont résolu d'exposer, dans une déclaration solennelle, les droits naturels, inaliénables et sacrés de l'homme, afin que cette déclaration, constamment présente à tous les membres du corps social, leur rappelle sans cesse leurs droits et leurs devoirs ; afin que les actes du pouvoir législatif, et ceux du pouvoir exécutif, pouvant être à chaque instant comparés avec le but de toute institution politique, en soient plus respectés ; afin que les réclamations des citoyens, fondées désormais sur des principes simples et incontestables, tournent toujours au maintien de la Constitution et au bonheur de tous.

En conséquence, l'Assemblée Nationale reconnaît et déclare, en présence et sous les auspices de l'Etre suprême, les droits suivants de l'Homme et du Citoyen.

Art. 1er. Les hommes naissent et demeurent libres et égaux en droits. Les distinctions sociales ne peuvent être fondées que sur l'utilité commune.

Art. 2. Le but de toute association politique est la conservation des droits naturels et imprescriptibles de l'Homme. Ces droits sont la liberté, la propriété, la sûreté, et la résistance à l'oppression.

Art. 3. Le principe de toute Souveraineté réside essentiellement dans la Nation. Nul corps, nul individu ne peut exercer d'autorité qui n'en émane expressément.

Art. 4. La liberté consiste à pouvoir faire tout ce qui ne nuit pas à autrui : ainsi, l'exercice des droits naturels de chaque homme n'a de bornes que celles qui assurent aux autres Membres de la Société la jouissance de ces mêmes droits. Ces bornes ne peuvent être déterminées que par la Loi.

Art. 5. La Loi n'a le droit de défendre que les actions nuisibles à la Société. Tout ce qui n'est pas défendu par la Loi ne peut être empêché, et nul ne peut être contraint à faire ce qu'elle n'ordonne pas.

Art. 6. La Loi est l'expression de la volonté générale. Tous les Citoyens ont droit de concourir personnellement, ou par leurs Représentants, à sa formation. Elle doit être la même pour tous, soit qu'elle protège, soit qu'elle punisse. Tous les Citoyens étant égaux à ses yeux sont également admissibles à toutes dignités,

[1] - https://gallica.bnf.fr/essentiels/repere/declaration-droits-homme-1789

places et emplois publics, selon leur capacité, et sans autre distinction que celle de leurs vertus et de leurs talents.

Art. 7. Nul homme ne peut être accusé, arrêté ni détenu que dans les cas déterminés par la Loi, et selon les formes qu'elle a prescrites. Ceux qui sollicitent, expédient, exécutent ou font exécuter des ordres arbitraires, doivent être punis ; mais tout citoyen appelé ou saisi en vertu de la Loi doit obéir à l'instant : il se rend coupable par la résistance.

Art. 8. La Loi ne doit établir que des peines strictement et évidemment nécessaires, et nul ne peut être puni qu'en vertu d'une Loi établie et promulguée antérieurement au délit, et légalement appliquée.

Art. 9. Tout homme étant présumé innocent jusqu'à ce qu'il ait été déclaré coupable, s'il est jugé indispensable de l'arrêter, toute rigueur qui ne serait pas nécessaire pour s'assurer de sa personne doit être sévèrement réprimée par la loi.

Art. 10. Nul ne doit être inquiété pour ses opinions, même religieuses, pourvu que leur manifestation ne trouble pas l'ordre public établi par la Loi.

Art. 11. La libre communication des pensées et des opinions est un des droits les plus précieux de l'Homme : tout Citoyen peut donc parler, écrire, imprimer librement, sauf à répondre de l'abus de cette liberté dans les cas déterminés par la Loi.

Art. 12. La garantie des droits de l'Homme et du Citoyen nécessite une force publique : cette force est donc instituée pour l'avantage de tous, et non pour l'utilité particulière de ceux auxquels elle est confiée.

Art. 13. Pour l'entretien de la force publique, et pour les dépenses d'administration, une contribution commune est indispensable : elle doit être également répartie entre tous les citoyens, en raison de leurs facultés.

Art. 14. Tous les Citoyens ont le droit de constater, par eux-mêmes ou par leurs représentants, la nécessité de la contribution publique, de la consentir librement, d'en suivre l'emploi, et d'en déterminer la quotité, l'assiette, le recouvrement et la durée.

Art. 15. La Société a le droit de demander compte à tout Agent public de son administration.

Art. 16. Toute Société dans laquelle la garantie des Droits n'est pas assurée, ni la séparation des Pouvoirs déterminée, n’à point de Constitution.

Art. 17. La propriété étant un droit inviolable et sacré, nul ne peut en être privé, si ce n'est lorsque la nécessité publique, légalement constatée, l'exige évidemment, et sous la condition d'une juste et préalable indemnité.

الملحق رقم 2[1]:

8 ـ في الحالـــــــة المدنيـــــــة

أدى الانتقال من حالة الطبيعـة الى حالة المدنيـــة الى تغييرات واضحة حقيقيـــة في الفرد . فقد أحل العدالة محل الغريزة في سلوكه ، وأضفى على تصرفاته أساســـــا أخلاقيا كان يعوزها من قبل . إن الانســـان لا يدرك أنه ملزم بطاعة مبادئ مختلفة تماما ، وأن عليه أن يسترشد بعقله لا أن يستجيب لدوافع رغباته فحسب ، إلا عندما يحل صـــوت الواجب محل النزعات الجسدية ، ويحل الحق محل الاستجابة للشهوات ، فعندئذ فقط يدرك الانسان ذلك ، وقد كان من قبل لا يهتم الا بنفسه وحده ـ ورغم أنه قد يجد نفسه محرومـا من عدة مزايا كان يتمتع بها في حالة الطبيعة ، فسيدرك أنه حصل على مزايا أخرى ذات قيمة أكبر بكثيـــر . فستنمو ملكـــاته إن يستعملها ، ويتســع أفق تفكيره وتصبح مشاعره أنبل وتسمو روحه ، الى حد يجعله يبارك بلا انقطاع اليوم الذى حرره الى الأبد من حالته القديمة وحولـه من حيوان بليد محدود الأفق الى مخلـــوق ذكي وإنسان ، لولا أن سوء استعمال الظـــروف الجديدة مايزال يعود به أحيانا الى منحدر أسوأمن الحالة التي كان فيهـــــا .

ودعنا نحول كل تلك الموازنة الى صيغ تسهل مقارنتها . إن ما يفقده الانسان نتيجـــة للعقد الاجتماعي هو حريته الطبيعية وحقه غير المحدود في الاستيلاء على مايريد وما يستطيـع الحصول عليه ؛ أما مايكسبه فهد الحرية المدنيـة وملكيـة كل ما في حيازته . وحتى لا نتعرض للخطإ فيما يتعلق بهذه التعويضات ، ينبغي أن تميز بين الحرية الطبيعية التي يتمتع بهـا الانسان والتي لا يحدها سوى قوة الفرد نفسه ، والحرية المدنية التي تحدها الارادة العامـة؛ وأن تميز بين الحيازة التي تقوم على القوة المادية وحدها وحق الاستيلاء الأول ، والملكية التـي لا يمكن أن تقوم الا على سند ايجابـــي .

ويمكننا أن نضيف الى ماتقدم من مزايا الحالة المدنية ، الحرية المعنوية ، التي هي وحدها ما يجعل الانسان سيد نفسه حقا . إذ أن الخضـــوع للشهوات عبودية بينما طاعة ما نضعـه لأنفسنا من قوانين هي الحرية بيد أنى أفضت في الكلام عن هذه الامر بينما المعنى الفلسفـــي لكلمة " الحرية " ليس مما يدخل في موضوعنا .

جان جـــاك روســـــو
العقد الاجتمـــــــاعي
الفصل الثامن . ترجمة عبد الكريم أحمـد

ـ 125 ـ

[1]– ، مظاهر من تطور أوروبا في القرن الثامن عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984 ص. 125

الملحق رقم: 3

La séparation des pouvoirs [1]:

« Il n'y a point encore de liberté si la puissance de juger n'est pas séparée de la puissance législative et de l'exécutrice. Si elle était jointe à la puissance législative, le pouvoir sur la vie et la liberté des citoyens serait arbitraire : car le juge serait législateur. Si elle était jointe à la puissance exécutrice, le juge pourrait avoir la force d'un oppresseur. Tout serait perdu si le même homme, ou le même corps des principaux, ou des nobles, ou du peuple, exerçait ces trois pouvoirs : celui de faire des lois, celui d'exécuter les résolutions publiques, et celui de juger les crimes ou les différends des particuliers. Dans la plupart des royaumes de l'Europe, le gouvernement est modéré, parce que le prince, qui a les deux premiers pouvoirs, laisse à ses sujets l'exercice du troisième. » Montesquieu, L'Esprit des lois, 1748.

[1] - **Les Lumières Des idées nouvelles** https://slideplayer.fr/slide/1183865

قائمة المصادر والمراجع

أولا–المصادر:

1. جان جاك روسو، اعترافات جان جاك روسو، تر. حلمي مراد، دار البشير للطباعة النشر والتوزيع، دمشق،1998.
2. جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ن ع نظمي لوقا، الشركة العربية لطباعة والنشر. 1958
3. جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، تر. عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي لتعليم الثقافة، القاهرة، 2013.
4. فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، تر. يوسف نبيل، مرا جلال الدين عز الدين علي مؤسسة الهنداوي لنشر،2018.
5. مونتسكيو، تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط، تر. عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب 2011.

ثانيا: المراجع:

1. ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية، جورج كوسى ، ط4، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1989.
2. أندري كريسون، فولتير حياته آثاره فلسفته، تر. صباح محي الدين، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1984.
3. أندري موروا، نصوص مختارة من فولتير، محمد غلاب، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، مصر.
4. برنارغروتويزن، فلسفة الثورة الفرنسية، تر. عيسى عصفور، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1982.
6. جمال قنان، مظاهر من تطور أوروبا في القرن الثامن عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984.
7. دوريندا أوترام، التنوير، تر، ماجد موريس إبراهيم، دار الفارابي مؤسسة محمد راشد آل مكتوم، ط1، بيروت، 2008.
8. ستيفن بينكر، التنوير الآن دفاعا عن العقل والعلم والنزعة الإنسانية والتقدم، حلا جمل، شعار الفايكنج لنشر والتوزيع 2018.

9. شوقي جمل، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ط1، المكتب المصري للمطبوعات القاهرة، 2000.
10. عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1997.
11. عمر عبد العزيز عمر، التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2000.
12. غوستاف لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية، عادل زعتير، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.
13. غيرترود هيملفارب، الطرق إلى الحداثة التنوير البريطاني التنوير الفرنسي والتنوير الأمريكي، تر، محمود سيد أحمد، سلسة كتب الثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، سبتمبر 2009.
14. ف.فولغين، فلسفة الانوار، هنريت عبودي ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 2006.
15. فائق طهبوب، محمد سعيد حمدان، تاريخ العالم الحديث والمعاصر، ط 1، الشركة العربية المتحدة لتسويق والتوزيع، مصر،2007.
16. مجموعة الأساتذة السوفيات توفيق سلوم، موجز تاريخ الفلسفة، دار الفارابي، ط1، بيروت، 1989.
17. محمد قاسم وحسني حسين، تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى، ط 6، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1347هـ/1929م.
18. رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601-1977، أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، ط 3، القاهرة، 1415هـ / 1994.
19. نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، دار الشروق، ط1، بيروت، 1989.

20. هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان، 2006.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

- حامد عبد الحمزة محمد علي الجنابي، فلسفة التاريخ النقدية عند مونتسكيو وأثرها في المنهج البحث التاريخي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، مجلس كلية الآداب، قسم الفلسفة جامعة الكوفة، 2014.

رابعا: المجلات:

1. أحمد جعيب كاظم، حسين عبد الزهرة الشيخ، التنوير الفرنسي: الانسان العقلاني فولتير نموذجا، مجلة الحوليات آداب عين الشمس المجلد 50، ع يوليو، سبتمبر 2022.
2. وفاء برتمية، أبعاد التسامح الإنساني في فلسفة فولتير، مجلة علوم الانسان والمجتمع جامعة بسكرة، الجزائر، ع. 26، مارس 2018.
3. مشرف بك مشرف، فولتير موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة الحكمة، 2017.
4. شاهم الهلال، جان جاك روسو، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة الحكمة،2020
5. محمد الشيخ، ما معنى التنوير سؤال التنوير وحيثياته وأجوبته في الفكر الغربي مقال فلسفي، مجلة المحور،2015.
6. محمد عمارة، **ويسألونك عن التنوير**، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ع 6-7، أفريل 2008.
7. عوض بالقاسم علي يونس، **دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية**، مجلة البحث العلمي في الآداب، قسم الفلسفة، كلية البنات، جامعة عين الشمس، ع 5، ليبيا، أوت 2016.
8. صليحة بوزيد، فلسفة عصر التنوير في فرنسا ودورها في تطور الفكر الاستعماري، مجلة القضايا الاجتماعية، ع 15، سبتمبر 2021.
9. رحيم محمد الساعدي، التنوير والخيال، قراءة في محرك التنوير، مؤتمر الفلسفة في المستنصرية، الجامعة المستنصرية،2019.

10. حسان عمران، الثورة الفرنسية الأولى (1789-1799)، سلسلة التجارب، الإصدار الأول في مسار التاريخ، مجلة الإدراك، ع 1، مارس 2016.
11. حواء سالم محمد سالم، التنوير في القرن الثامن عشر وأثره العقلانيه فيه، مجلة سبها للعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة العدد 20، 2021.
12. رونالد سترومبرج، جورج طرابشي معجم الفلاسفة (الفلاسفة-المناطقة – المتكلمون-اللاهوتيين المتصوفون)، جورج طرابشي معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون – اللاهوتيين المتصوفون)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، جويلية 2006.
13.إرنست كاسيرر، إبراهيم أبو هشهش، فلسفة التاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ط1، بيروت، 2018.

خامسا: المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، معجم لسان العرب، دار المعارف، ط1، القاهرة.
2. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، المجلد الأول، عالم الكتب،2008

فهرس الموضوعات

مقدّمة .....أ

الفصل الأول

نشأة فكر التنوير في أوروبا

أولاً- التنوير (Lumière) المصطلح والمفهوم..... 7

1. مفهوم التنوير لغة 7

2. التنوير اصطلاحا 8

ثانيا- الجذور التاريخية لظهور فكر التنوير 11

1. العقل..... 14

2. القانون الطبيعي 15

ثالثا- ظهور حركة التنوير في فرنسا 16

الفصل الثاني

مفكري التنوير: فولتر، مونتسكيو، جون جاك روسو

أولاً - فولتير (1694-1778)..... 21

1. نشأته 21

2. فلسفة التنوير عند فولتير..... 23

ثانيا- مونتسكيو (1689-1755): 21

1. نشأته 30

2. الفكر السياسي عند مونتسكيو 33

ثالثا: جان جاك روسو (1712-1778)..... 33

1. نشأته 33

2.أفكاره التنويرية 34

الفصل الثالث

أثر مفكري التنوير في قيام الثورة الفرنسية

أولا– الحركة الفكرية وتأثيرها على الشعب الفرنسي 39

ثانيا– دور فولتير في قيام الثورة الفرنسية 46

ثالثا– ثالثا: إسهامات مونتسكيو في قيام الثورة الفرنسية 51

رابعا– فلسفة روسو وإيديولوجية الثورة الفرنسية 55

خاتمة 60

الملاحق..... 62

قائمة المصادر والمراجع 67

فهرس الموضوعات 72